

خالد محمد خالد

والله أعلم

كيف يفكر أهل الله
وفيما يتحدثون



الطبعة السادسة

جمادى الآخر ١٤٢٥هـ — أغسطس ٢٠٠٤م
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

منازل المقطع للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ربحان — عابدين

القاهرة

تليفون: ٧٩٥٨٢١٥ — ٧٩٤٦١٠٩

فاكس: ٥٠٨٢٢٣٣

email: elmokatam@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

من المؤمنين رجال نعتهم الرسول عليه السلام بأنهم "أهل الله وخاصة".

أولئك الذين تبتلوا الله، وحملوا بإيمانهم وفي قلوبهم نور القرآن الكريم، لم يلهم في طول الدنيا وعرضها شيء عن ذكر الله، بل نذروا لله حياتهم، وأسلموا إليه وجودهم، واتخذوه وكيلا..

وعبر التاريخ الطويل، كان هناك دائما، ولا يزال، فريق من أولئك الأبرار، لا يخلو منهم عصر ألا جيل، وكأنهم أوتاد الحياة يمسون بها كي لا تميد وتهوى.. وكأنهم، بل إنهم لمصاييح الحياة يؤلقونها بنور الله..!!

وقد عرفوا عبر التاريخ بأسماء شتى فتارة نسميهم "المتصوفة".. وأخرى "أهل الله" و"أولياء الله" و"أهل الطريق"....
فمن "أولياء الله" كما أسماهم القرآن العظيم.. وعن "أهل الله" كما وصفهم الرسول الكريم، يتحدث هذا الكتاب.. وإليهم إهداؤه..!!

وهو ليس تأريخا لهم، ولا تقديمًا لسيرهم، إنهما هو محاولة لرؤية أفكارهم وفلسفتهم تجاه طائفة من القضايا التي يناط بها مصير الإنسان وخلاصه..

ومن خلال الكلمات الفاتحة والمضيئة التي عبروا بها عن أنفسهم وضمنوها فكرهم العميق والعريق، نحاول تحقيق الغرض الذي انعقد عليه عزم هذا الكتاب..

ألا، وإن للكلمات التي تنفجر عنها شفاههم لمذاقا فريدا..!!
فالتعبير النهائي للفكرة، والجمال المتألق في الصياغة، هما السمة المميزة لحديثهم وما ينطقون..

* فايكم يعرف في وصف الصداقة الخالصة والإخاء الوثيق أجمع وأمتع من هذه العبارة:

"لا تنتم المحبة بين اثنين، حتى يقول أحدهما للآخر: يا .. أنا !!"

* وأيكم يعرف في السخرية من النفاق، وفي التفجع من كثرة المنافقين أجمع وأمتع من هذه العبارة:

"لو خلق الله للمنافقين أذنابا، ما وجد المؤمنون أرضا يمشون عليها" !!

* وأينا لا يستنجد بأقصى طاقات ذكائه، لكي يدرك السر الكبير الكامن في مثل قولهم:

"نعم الرب ربنا، لو أطعناه ما عصانا"
وفي مثل قولهم:

"لا عرف يقينا لا شك فيه، أشبه بشك

لا يقين فيه، من هذا الذي نحن فيه"

أو في قولهم:

"ذلُّ من لا سفيه له" ..!!

إن وراء الكلمات التي يرسلونها في تركيز باهر فيضاً من الحكمة العميقة، والتجربة المفعمة..

وإننا لنعجب، كيف تواترهم الحكمة في أكثر أماليها إشراقاً وسلاسة وألقاً، وهم الذين لم يتخصصوا في فنون البلاغة والقول، ولم يعنوا برعاية هذا النوع من الموهبة.. بل هم الذين كانت العبارة الحلوة الآسرة تسبق إلى لسان أحدهم عفواً الخاطر، فيحتجزها، ويستخدم مكانها عبارة أخرى متقشفة شعشأة، درءاً لما قد يطوف بخاطره من طائف الزهو والافتتان!!

أجل، نعجب كيف تنبثق الحكمة من أفئدتهم في مثل هذا الجمال الفريد. لكننا نودع عجبنا سريعاً حين ندرك أنهم إنما ينهلون من النبع الذي لا يغيض، حيث تتدفق عطايا ربنا وهباته - يهبها سبحانه - من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء!!

* * *

ولقد أتيح لي في فترة مبكرة من حياتي - ليشها دامت - أن أصحب هذا الرعيل الطاهر في أخبارهم وآثارهم.. ولطالما بهرتني - ولا تزال - كلماتهم التي كانت وسيلتهم لإبلاغ الصدق، وتبيان الحقيقة.

ويزيد كلماتهم تلك جلالاً وقداًسة أنها كانت التعبير الأمين الصادق عن حياتهم ومسلكهم في الحياة، فما كان بين حياة أحدهم

وكلماته فراغ يتسع لمرور خيط دقيق!!

- كانت قلوبهم من النقاء والتبتل، بحيث ترى الحق كضوء النهار.

- وكانت عزما تهم من الصلابة والمقدرة، بحيث تحمل تبعات هذا

الحق في عزم الراشدين.

- ثم كانت كلماتهم التي تحكى تجربتهم للناس، قواطع ماضيات

كالسيوف النقية المرفهة!!

* * *

والآن، يطيب لى أن أقرب من رحابهم فى وجل المتطفل، ورجاء

المتوسل، لأعيش والقراء معى لحظات يضمخها عبير ذكركم وذكرهم.

بين تراثهم الممتلى وحكمتهم الهادية، لثرى: كيف يفكر "أهل الله" وفيم

يتحدثون..

أجل.. مع أفكارهم وكلماتهم.. لا باحثين عن وجوه البلاغة وقضايا

المنطق فيها. بل مستسلمين لحبورها ونورها وحكمتها المكنونة فى

أعماق الضياء!!.

راجين أن نذهب من نورها ومن بركاتنا بحظ ونصيب .

وعلى غير عادتى فى التأليف، سيجد القراء كتاباً غير مقسم إلى

أبواب وفصول.

إنه يبدأ، ويمضى، وينتهى، وكأننا نترسل مع "أهل الله" فى حديث

واحد متساوق وموصول!!

وعندما يلتقى القارئ بصفين من النقاط إلى يمين الصفحة، فتلك

علامة على أننا ننتقل من موضوع إلى موضوع، أو من إحدى حلقات

الحديث إلى حلقة أخرى عبر السياق المنثال فى تدارك وارتباط.

ولقد تتبعنا الكثير الباهر من أقوالهم في مصادر شتى، ثم رحنا
أستلهم هذه الأقوال ما تنطوي عليه من فلسفة وأفكار. ثم ما تطرحه من
قضايا واتجاهات.
ولست أزعم أنني استوعبتها. أو حتى جئت منها في هذا الكتاب
بالكثير.. إنما هي عجالة أرجو أن تكون - بعون الله - بداية لأعمال
أخرى مقبلة في هذا السبيل.

* * *

ولنذكر، ونحن نتهياً للإصغاء إلى صوت الحكمة التي تصدح بها
كلماتهم الهاطلة، أننا أمام هذا الرعيل الكريم من أهل الله وخاصته،
إنما نتلقى منهم وعنهم طرازاً فريداً من التجربة الإنسانية المفعمة بروعة
المعاناة، وعظمة الوسيلة، وجلال الغاية!!
ومهما يكن الخلاف، أو يطل الحوار حول منهجهم، فهناك حقيقة
تفرض نفسها على أولى الألباب الذين يعينهم دوماً أن يعرفوا.
* تلك هي أن التجربة الروحية والسلوكية التي شكلتها حياة
أولئك الأبرار ليس لها من طرازها سواها..
* وأن حظها من الصدق حظ فريد..

* وأنها كانت وستظل تحمل من الرؤى ما ليس للروح الإنساني
عنه غنى، وتحمل من الشراء العلوي ما لا يبدد فاقة النفس سواه!!.

* * *

لقد كان أمرهم عجيباً، وهم ينشئون في دأب رهيب أعظم وأبقى
وأبقى مشاهد التبتل والولاء لله رب العالمين، بوصفه سبحانه أعظم

الغايات التي يجب على الوجود الإنساني أن يعيش لها وينمى مواهبه تحت راياتها ..

- تعلموا العلم وعلموه ..

- أنضوا أجسادهم في الصلاة والصيام والنسك كافة ..

- انتضوا سيوفهم لمقاتلة الغزاة الذين كانوا يتسورون حرمان دينهم وتخوم أوطانهم.

- وعاشوا حياة خارقة في محاولاتهم الباسلة لتتويج إرادة الإنسان. هؤلاء هم الذين كانوا يوصفون تارة بالصوفية.. وأخرى بأصحاب الطريق ..

ولكن اسمهم الحقيقي هو (أهل الله وأولياؤه)؛ ذلك أنهم في كل ما كابدوا وجاهدوا، لم يريدوا وجهها غير وجه الله العلي المجيد، والعبارة التي اخترتها عنوانا لهذه الصفحات، ليست سوى الشعار الذي نحتوه هم لحياتهم.

ذلكم هو: " .. والموعد الله "

لقد رفعوه في وجه الإغراء الزاحف، والخطر المحدق .. ودمدموا به على كل قوى الشيطان والضلال .. وكان المعراج الذي تسنمت أرواحهم إلى روضات الله ذي الجلال والإكرام.

فليمنحهم الله المزيد من خير ما أعد لهم من نعمة ورفعة وثواب .. وليكن لنا من واسع فضله تمام نعمته وعافيته، وحسن مأب ..

خالد محمد خالد

الأول الله

من أشواقهم إليه يبدأون.. وإلى مشواهم بين يديه ينتهون.. من الله الملك الحي القيوم تبدأ مسيرتهم..

وإلى الله الملك الحي القيوم ينتهى مسراهم ومعراجهم.. فهو - سبحانه - الأول والآخر.

ورغبتهم فى التعرف إليه، وشوقهم إلى محبته ولقائه، يمثلان شدة الزناد.. حيث تنطلق الطاقة المشتاقة فى عنفوان مقتدر ذاهبة إلى هناك.. لا تلوى على شىء، ميممة وجهها شطر الطريق المفضى إلى مدرة المنتهى.. غائصة فى البحار المجهولة متسلقة جبال الضنى والهول.. مجتازة تخوم المألوف، إلى عالم كل ما فيه عجيب، وجليل، وباهر!! وعلى الرغم من أنهم مسافرون إلى الله، فهم فى ذات الوقت مسافرون بالله..!!

فإذا كان سبحانه "الآخر" الذى يقطعون الأعمار وثبا فى السفر إلى رضوانه وجلاله، فهو أيضا "الأول" الذى يبدأون الرحلة من دعوته، ومشيتته، وتوفيقه، ومن إرادته التى تقول للشىء كن، فيكون..

ومن حوله وقوته اللذين لولاهما ما قدر أحد على حركة أو مكون!!
ولقد أدركوا ما عمى عنه كثيرون، وهو أن رحمة الله قريب من
المحسنين، وأن مزيج السفر إلى رضوانه لا يكاد يلوح بعزمه وبأشواقه
حتى يجد كل مراكب النعمة في انتظاره، لتنتقل به في الموكب
المجيد والسعيد.. فالرب الذي يشدون الرحال إلى رحابه ليس فقط،
الأول في وجوده.. بل والأول في جوده!!
وهو - سبحانه - لا يعيق المهاجرين إليه، والمسافرين إلى
رضوانه.. بل يجعل لهم الأرض مهدا والسماء سبلا..
ولقد فهم أولياؤه هذا فوضعوا أعينهم على أنفسهم حتى لا يؤثروا
من قبلها بما يعرض الرحلة للتيه والضلال.
وهنا نلتقي بـ "أبي حازم سلمة بن دينار" يقول في بهاء عظيم:
"لأننا من أن أمنع الدعاء، أخوف على
من أن أمنع الإجابة".
أي تعبير نهائي لهذه الفكرة يفوق هذا التعبير ويسبقه.. إنه لا
يخشى أبدا أن ييسط يد الضراعة إلى ربه فلا تُسارع إليه يمين الرحمن
بكل برها ونجدتها وحنانها وعطاياها.
لا يخشى أن يقرع الباب فلا تفتح له أبواب.. فذاك أمر مفروغ من
تيقنه.

إنه على يقين من قول الله لعباده في حديثه القدسي:

"من مشى إلى شبرا، مشيت إليه ذراعا..
ومن مشى إلى ذراعا مشيت إليه باعا..
ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة".

كما أنه على نفس من قوله تعالى لعباده في قرآنه العظيم
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

فتعقل الله أعمالك وفتح أبواب رحمة وأبواب فضله لك لم يكون

قط موضع ساؤل من أهل الله وأوليائه إنما المشكله ما شبه في بحس.

فهل نحن أهل لأن نريد؟ ثم هل نريد حقاً؟ هذه هي المشكله أما
حسن نريد وبحسن للإرادة أهل، فإن كل قوى السماء والأرض ترصع على
القود في خدمه ذلك العبد لمشافق لذى كثر الله وأراده، فكأن له من
الله ما يؤثر وما يريد!!.

وهنا ينتقى بـ "أبي وائل شقيق بن سميح" بقول

"نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا!"

وهي عبارة تثير الدهش لا محالة من حسن الصبيعه والركب فهن

يبحرن لنا أن نقول عن الله سبحانه: "ما عصان"؟.

وبن تحرر بكل ثمر ربك وقد سيد، حتى بطيعة الله أو حتى

يعصيت؟!

لكن أهل الله لهم معهم التي أدب بهم بها وسهم أدوا فهم

وأحاسيسهم.. ومن ثم تعبيرا بهم التي بسعد من بعد الأعماق وأرحب
الآفاق.

إنهم يعرفون كم يدلل الله عباده..!!

ألم يقل لهم.

"من أتاني يمشي، أتيته هرولة؟"

فمن نحن حتى بهرون الله إلينا، إذا جئناه مشاة؟! وألم يقل
سبحانه:

"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين، ولعبدى ما سأل"؟!

فمن نحن، حتى يرفع الله إلى هذا المستوى من المرله عبده، من
من المنزله معه؟!

إن "أهل الله" يتحدثون بلغة قريبة، تُصور ما يُرعب به موسيهم
ومشاعرهم من فهم عن الله وحسب له!!

وهكذا قال "أبو وائل" رضى الله عنه

"لو أطلعناه ما عصاب"!!

* * *

ونعود إلى جوهر القضية، لرى أهل الله وهم يدركون أعمق إدراك
جوهر العلاقة بين الله وعباده.

إن أبوابه مفتحة لنا جميع - طائعين وعصاة، أبرارا وحطائين، به
بالليل وبالنهار يتنادينا:

"هل من مستغفر، فأغفر له هل من
مستزق، فأرزقه"؟

وهو يريدنا نكر ما قبلنا من طين ونورا! فلا بأس من فصله ولا
خوف قط من غياب جوده وعطائه وبره.
إذا نادينا، لئانا..

و "لو أطلعناه، ما عصانا".

وعليت إذن أن تريد بمقدار فطرة من بحار رده لك، وحرصه علينا ووجه إيانا.

تلك هي المشككة، ولا مشككة سواها أن تريد بحس، وبهمو إليه، ونرتمى بين يديه، أما لدى بعد هذا، فهو مالا عسى رأيت، ولا أدن سمعت، ولا خطر عني فبشر، فأولئك الذين يريدون وجهه، لهم الشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
ولكن كيف نريد..؟

* * *

ها يلتقي بالشيخ "ألو سصى" يقول

"أول مقام ينزله المريد، هو، إرادة الحق بإسقاط إرادته"

ويقدم "بو يريد" لبسطامي "نص الحقيقة في أسلوب أوضح فيقول،

"إذا قلته يا رب أين الطريق إليك؟

جاءك النداء: خل نفسك وتعال"

فأهل الله هكذا يفكرون.. حين تريد أن تريد وجه الله، فمعنى ذلك أن حظوظ نفسك وهواك لا يسعى أن يسمي لها في صدرة حياتك بل ولا هي خصيتها وجود.

إنك تحتج إلى "الطارئة" وتعتمد عليها في الظلام الحال لك، أما في راحة النهار ومهرجان شمس، فإنك لا تفقد الحاجة إليها وحسب.. بل إنك تنسها وتنسى وجودها

كذلك، فأنت تشعر بدانشك، وبفسك، عندما لا يكون معكما ثالث.

أه في حضرة ثالث، وربع، وخامس، فإن شعورك الـ كـف عسى
ذاك يوزع بعدد الحالسين معك ويعدد أهميته كل منهم
وأنت في حضرة إنسان عظيم تشعر بالرسك والحق، حتى لنكد
تفقد تماسكك، كما أنك في حضرة تنزل عن الكثير من خصائصك
وعاداتك.

أقرب أن تنزل في حضرة الله رب العالمين دون أن يطرح عليك
جديد يتناسب مع صالة العبد وكرياء الرب؟
إن أهون صور هذا الحديد، هو تحليلك عن نفسك،
"خل نفسك، وتعال"
إنه دغدغة هواك. ونبذه بعيداً، بعيداً، وذلك يعني
"إرادة الحق بإسقاط إرادتك"

إن إدلاج الإنسان لأحد مكته يبي "المريد بن" بشك في نظر أهل
الله محاولة تتفجر ربه وخطراً وفداسه. فمعها أنك بحار بن الله،
ونفسك.

انظر، كم هو رهيب ذلك الموقف، وكم هو مقدس!!
ليس ثمة تنكر ولا هروب، إنما هو الله ونفسك.
ومن ثم قالوا، أو قل باسمهم "حاتم الأصم"
"إذ رأيت المريد يتلفت عن مراده
فاعلم أنه نذل!!"

وفي تعبير "حليم" هذا بحفيف وبرق وياصف نفسه لمريد عن مراده، ليست في عرفهم ندانة فحسب .. بما هي ردة أيضا.. ها هو ذا "ابن الفارص" يقول مناجيا ربه ومولاه:

"ولو حطرت لي في سواك رداة على
خاطري يوما قضيت بردتي"

والنحلي عن النفس هنا كما يريد أهل الله، هو في الحفصة أمثس طريق لا سنبفاء النفس وتعلبتها، فالخروج بها من ظلماتها إلى دائره الضوء الذي يفيئه ويعكسه جلال ربه، وبهؤه بعث حديد لها في أكمل نمط، وأحسن تقويم.

ومن ثم، ففي قولك إن المرید يحد نفسه في حبر بين الله ونفسه، تحوز كبير إد أنه بين الرب والعبد، لا مجال بل لا وجود لهد الاحتيار لس فقط لما بين المرلين من تفاوت بلاشي صرله اعبد ويدسها في التراب. بل ولأنه ليس هناك وجود حقيقي بعبر الله.. ومن ثم، فييس هناك وجود لمن يدخل معه مسجانه في دائرة الاحتيار

لذلك كانت فلسفه "أهل الله" في اتحنى عن النفس ماثلة على نحو أكثر في أن تقدر الله قدره، ونعرف لنفسك عجزها، وحقيقتها.

وهنا يحدث "ابن عطاء الله السكندري" يقول:

"كن بأوصاف ربوبيته متعقبا وبأوصاف
عبوديتك متحقيقا"

عندئذ ستخفي نفسك دون تكلف أو محاولة.. سبهار غرورم الكذب، ونلاشي كبرياؤها الناطلة. ستظهر حقيقتها كحلق ضعيف من

خلق الله كطفل فوق ثبح بحر عريض قامت قيامة أمواجه وليس إلى
نجاته من سبيل، تمتد إليه في هدوء واثق، بد حامية وقادرة، تقهر البحر
وتذل الموج وتجعل منه وهو الطفل الساجد المرعوب سيد البحر
والموج والخطر والهول!!

أجل، عندما تتعلق بعظمة ربك، وتتحمق من عجز نفسك، فأشد
تكون قد تخلت عنها، وتكون في نفس الوقت ولنفس الصب قد
وجدتها، وامتلكتها وربحناها.

ولكن أرى لإنسان أن يكون بأوصاف الربوبية متعلما؟؟ أليس عليه
بادئ ذي بدء أن يتعرف إلى الرب؟ وأنى له أن يعرف من ليس كمثله
شيء، ومن لا تدركه الأبصار، ومن تكاد السماوات تنفطر منه وتنشق
الأرض وتخر الحبال هذا؟؟.

هذا يقول "هل الله". نعم هو ذلك وأكبر من ذلك، ولكنه مع هذا
أقرب إلينا ما.. وهو أوضح من كل موجود ولمسه وشمه ونسمعه ونراه..
ها هو ذا "ابن عطاء الله" مرة أخرى يقول:

"كيف يُتصور أن يحجب شيء، وهو الذي
أظهر كل شيء؟.

كيف يُتصور أن يحجب شيء، وهو الذي
ظهر بكل شيء؟.

كيف يُتصور أن يحجب شيء، وهو الذي
ظهر في كل شيء؟.

كيف يُتصور أن يحجب شيء، وهو الذي

ظہر لكل شیء؟

کیف یُتصوّر أن یحجبہ شیء، وهو

الظاهر قبل وجود کل شیء؟

کیف یُتصوّر أن یحجبہ شیء، وهو أظهر

من کل شیء؟

کیف یُتصور أن یحجبہ شیء، وهو الآخر

الذي ليس معه شیء؟

کیف یُتصور أن یحجبہ شیء، وهو أقرب

إلیك من کل شیء؟

کیف یُتصور أن یحجبہ شیء، ولولاه ما

كان وجود أي شیء؟

فقی کل شیء ظہورہ، ویکل شیء ظہورہ، وأظهر من کل شیء

ظہورہ، بل هو الواحد لیدی ليس معه سواه، إذ لا وجود حقیقیاً لغيره،

ومن ثم، فليس هناك ظهور حقیقی غیر ظہورہ، وبس هالك حضور

حقیقی دائم غیر حضورہ!!

إذن فما بال نعيش عميان عن هذا الظهور، نائمين ضالين عن

هذا الحضور؟

ماذا يحول بيننا وبين شہودہ؟

وماذا يحجبنا كل هذا الحجب عن رؤیة وجودہ!!؟

هو ذا يتم كلمه الهادية فيقول:

"ما حجبك عن الله وجود موجود معه،

بل حجبك عنه توهم موجود معه!!"

إذن قال له الذي نعيش في عبه وظلماته أنه صعب على موهوم إذ
يس هناك أي وجود حقيقي لأي شيء، مهما عظم حتى يشغلنا عن الله
وبحول بيننا وبين شهوده وملاقاته، إنما هي الأشباح التي تسجها
وهامنا فحرمنا الرؤية، وتعمى عينا السيل.
وأحضر هذه الأشباح جميعا شبع النفس نسي، ونسك، وأنفس
الآخرين " بكل ما يموح به من أهواء وأطماع وتماهات، وهكذا كن
طريقهم إلى الله، ثلا في تلك لصيحه لمباركة
"خل نفسك، وتعالا."

* * *

وكم من "مريد" حلى نفسه ومضى نحى عن شهوانه وآثامه
وحطاياه، وقصع شوط طويلا في التطهير والغيير، ولكن وهو على وشك
بلوع المشارف السعيدة لملكوت العظيم، إذا به يسقط صريع آفة لم
يفتح عينا بصيرته، ولم بشح لها تصميمه.. تلك هي - غرور الطاعة
والعادة.

* * *

هنا قاصمه الظهر لا ريب فيها.. وهذا لغرور رعم ارتكازه على
العبادة، آية ما لا تزال النفس نوح به من حيث واستعلاء.
ولهذا العرور وجهان: وجه الأول رضاك عن نفسك والافتتان بما
نأتيه من عادة ونسك. ووجه الثاني استعلاؤك على الآخرين بفصلك،
بل وتغييرهم بما معهم من قصور ومساوىء.
إن "أهل الله" لا يمتنون بقيصة مثلما يمتنون هذا اللون الوديع

من العرور

ذلك أنه حين نسم نفسك حفا من دسها ونسبها، فلي بدل
بطاعة أند بن سطر راحة لله لذي وفها، وهدها، وركاه، صارعه
إليه ألا يسلبها هذه النعمة بعد إذ أعطاه.

ثم هي لن تُعبر بمعصية أند، لأنها تعلم عدم اليقين أن ليس يسها
في أوج طعتها، وبين الآحرين في أعوار عصائهم سوى علا له رفقته من
سنة الله ووفيقه، لو تكشف عنها لأصحت ولا تميم سواها!!

من أجل هذا لم ننس "هل الله وأولياؤه هذا المزيق الوعر
والهوة الفاغرة.

ها هو ذا "أبو على اهروى" رضى الله عنه وعنهم أجمعين يقول
"أعرف أن كل طاعة رضتها منك، فهي
عليك، وكل معصية غيرت بها أخاك، فهي
إليك!!"

إن خطر رضائك عن نفسك في هذا المحال، أنك بهذا الرضا،
ومع تكراره واستمراره ستفقد الإحساس بالخطأ، ومن ثم تفقد حسنة
الانجاء إلى الفضيلة والخير والصواب.

ثم إن هذا الرضا إذ لم تحسن استخدامه، سيضع مكان الطمأنينة
إلى الشكامل والخير الاعتراض بما أصبت من بكميل وخير ومن ثم
فلنعود عن طلب المزيد منهما والشوق إليهما

أما بعبير الآخرين بصعقهم، فهو لا يكشف وحسب عن أن النفس
قد صبت طريقها إلى الله. بل وقبل ذلك، يكشف عن أنها لا تستحق

بحل، شرف السير على هذا الطريق!!

ولصغ لملسفة "أهل الله" تجاه هذه القضية يؤلفها لنا "ابن القيم"

يقول:

"تعييرك أخاك بذنبه، أكبر إثما من ذنبه، ففي
تعييرك هذا، تبدو صولة لطاعة وتركية
النفس والمناداة عليها بالبراءة من الذنب .
ولعل انكسار الذي غيرته بذنبه، وإرراة على
نفسه، وتخلصه مما أصابك من كسر وعجب
وادعاء، ووقوفه بين يدي ربه ناكس الرأس
خاشع الطرف، منكسر القلب، تفع له من
صولة طاعتك ومثلك بها على الله ."

"ألا ما أقرب هذا العاصي من رحمة الله !.

وما أقرب ذلك المدل من مقت الله!.

فذنوب تدل به لديه. أحب من طاعة تدل بها
عليه.

ولأن تبيت نائما، وتصبح نادما.. خير من أن
تبيت قائما، وتصبح معجبا، فإن المعجب
لا يصعد له عمل.

وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن
تبكي وأنت مدل..

وأبين المذنبيس، أحب إلى الله من زجل

المسبحين، المدلين..

ولعل الله سقاه بهذا الذب دواء استخرج به

داء قاتلا.. هو فيك وما تشمر!!

ويتقدم الإمام الحبل "أبو لحسن الشاذلي" رضي الله عنه ملخص

القضية في إيجاز بليغ فيقول:

"رب معصية أدرت ذلا ونكسارا

خير من طاعة أدرت عجبًا وامتكبارا"

فغرور العدة اقه ينووه "أمر الله" ويحادرونها ويحدرون منها

ذلك أن رب ط هذا العرور بالطاعة كشرا ما نعلم عن خطره بل كشر ما

يشكر في ثياب قصبة كريمة الطاعة والتحدث بعمه الله!!

يقول "إبراهيم السخمي":

"نرى لأرى الرجل يرتكب أمرا أكرهه، فما

يمعني أن أعيبه إلا مخافة أن أبتلى

بمثله"

أجر.. مخافة أن يسئ بمثله، فهم أكثر من غيرهم إدر كما لم تعود

به خطيئة التآلى على الله من قصاص مريع.

يقول الإمام "جعفر الصادق":

"من كشف حجاب غيره، انكشفت

عورات بيته"

"ومن سل سيف البغي قتل به"

ثم إن لهم حكمة عميقة في رفض ذلك النوع من التآلى والاغترار..

قال من عندهم لا يحرمون فصلا يعطون عليه مهما تكن أخطاؤهم.
وإن حسنة واحدة تراها في إنسان لتشفع له بحسن الظن فيه، لأنها
لن تظل واحدة وعرييه.. بل سبب دى إليها غيرها من الحسنات
يقول "عروة بن الزبير".

"إذا رأيت الرجل يعمل حسنة، فاعلم أن
لها عنده أخوات، وإذا رأيت لرجل يعمل
السيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات"
ويرفع أبو أيوب السخيني "إلى قمة الإدراك اسدبد للعصبه
حين يسهل إلى الله داعيا، وقائلا،

"اللهم سترنا بالعافية"

وعوية الله سبحانه هي لتى تصع الفارق، لشاهق بين الطائع
والعاصي.. بين المعافى بالهدى، المسور بالعافية، وبين لمتنى
بالدنب، لمحروم من العافية.

* * *

إن لخلاص من هذا العرور الدينى - عرور الطاعة و لعبادة ضروره
لكى يصبح المؤمن صالحا للسبر على طريق القوم الراكضين إلى الله.
و "أهل الله" يؤلوه أكرم قدر من هنامهم وعنايتهم، لأنه بس هاكم
بدل على بقء سبطرة النفس وتألها الكادب مش هذا النوع من العرور
ولقد كان التوقى من هذا العرور شيمة أهل الله جميع، حتى
الذين لهم قدم صدق عند ربهم، لم يكوئوا لأمنوا مكر النفس
واغترارها بالطاعة

هذا هو "الربيع بن حنيم" واحد من كدر السبعين وكان عند الله
 بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب يراه إلا
 ويصيح:

"بشر المختبين"

ثم يقول له:

"لو رأيت رسول الله لأحبك"

هذا "الربيع" عليه رضوان الله، يطلب إليه أن يعط الناس، فيكون
 جوابه.

"ما أنا عن نفسي براض حتى أتحول
 عن ذمها إلى ذم الناس"
 "وما أريد أن أكون من قوم خافوا
 الله في ذنوب الناس وأمنوا عذابه في
 ذنوبهم.."

ألا ما أعمقه.. وما ألقه؟!

نرى من هؤلاء الذين يحافون الله في ذنوب الناس، ثم يأمنون
 عذابه في ذنوبهم؟!

إنهم في أحسن مستوياتهم، وهو في نفس الوقت أسوأها حالا
 وعدفة، ليسوا سوى صحاب غرور انطاعة "اسمهم غرورهم الأعمى ما
 في" نهم البشرية من ضعف، بن وأسمهم وزر الغرور نفسه، فأمنوا مكر
 الله تجاه أنفسهم.. بينهم راحوا يدممون بو عبده وسعجلون عذابه وبأسه

لأخريين!!.

وغرور العبادة هذا، عرض لمرض آخر يفتن إليه أهل الله،
ويقرعون لضحاياه أجرام النذير.

ذلك ما يعبر عنه "إبراهيم النخعي" فيقول:

"ما أحسب أحدا تفرغ لعيوب الناس إلا
من غفلة غفلها عن نفسه".

فهذا العرور حين يحدع أصحابه عن أنفسهم و يقنعهم بأنهم انتهوا
إلى خير ما يرجونه ولم يعد في الإمكان أبدع مما كان، يعود ويلوى
أبصارهم شطر الآخرين حيث يسول لهم عرورهم أنهم فريق الإنقاذ
لأولئك الغرقى.. ثم ينفع أوداجهم فيحيل إليهم أنهم الأطهار والأبرار
وينظرون من عل إلى أولئك الخطئين نظرة تتصمر لاستحفاف بهم
والتلمظ بعيوبهم.

وذلك السلوك في نظر "أهل الله" برهان أكيد على أن صاحبه قد
عمل عن نفسه. واعقبة عن النفس عندهم مهما يكن تقدمها الروحي
أدهى خطرا وعاقبة من عقبة رجل أعزل عن أسد يحاوره ويتربص به
ليحمده مضغة شهية بين فكيه وتحت أنيابه!!.

* * *

وليس معنى هذا لدى رأينا من موقفهم تجاه أخطاء الغير، أنهم
يُروَّجون للخطيئة، أو يتجملون خطر الذنوب والآثام.. فما شهدت
أحياه مشهم أناسا تروعههم لهمة العابرة، يأنونها وتكد تجعلهم مرفا
وأشلاء إنما معناه أنهم وهوا ذلك الحس اللطيف والدقيق لدى
يعرفون به بين أخطئهم وأخطاء الآخرين، فسما تأخذهم على أنفسهم

فسوه برصوبها ويقدرّون عليها إذا بهم يحاولون بالرفق بشال الآخري من وهذه الإثم. رافضين أن يكونوا عونا للشيطان عليهم. مكتفياً بأن يرسلوا من الحين والحين صبحه ندير يجعلحسون بها هي صفوف الحصدئين يستيقظوا، ثم لبفوا، ويظروا ويسمعوا.

ما مع أنفسهم، فهم شأنا آخر عجب واللهم، لصعبره يؤرق صاحبها، ويجعله كجالس عند مفتح جبل يوشك أن يساقط عنه ويظمره تحت أنقصه.

وهم في ذلك معذورون، لأن ما دافوه وما عابوه من مباح اقرب وأفراح لوصول يجعل حرصهم على استيقاظه وخوفهم من فقدته أمرا لا يصبر على صبر، ولا يقدر على أناة.

وهم يدركون أن أهواء النفس وفتاب الإثم هي المنزلق لرهيب إلى الردة والانتكاس - أي إلى صبيح النعيم الروحي الذي أدركوه إلى جوار الله.

وهم أدري الناس بعقبي الهوات، ناهيك عن كبائر الذنوب، فقد سمعوا تحذير بينهم وهاديهم من محققات الذنوب

"ياكم ومحقرات الذنوب: فإنها تجتمع على العبد وهو يستهن بشأنها حتى نهكه"

ثم إن مذاق الطعنة، ومدهج لوصول كسب لهم بها ناطع الطعوم المريرة و لقائلة للذنب، كبيراً كان أم صغيراً.

وحسن إدراكهم لمكيد الشيطان ومصب يده جعلهم يحذرون صغائر الذنوب أكثر مما يتوقعون كبارها، فلقد علموا أن الهوات هي

التي تحذع المؤمن عن نفسها، وتتذكر في صحتها وصحتها مستعده
استهانة مراكز المراقبة بشأنها!!.

ومن هنا، كان ثوقهم الهفوت عظيم.

هذا "إبراهيم التميمي" يقول:

"إذ رأيت لرجل يحاؤون في التكبير
الأولى، فاعسل يدي منه!!".

إن التكبير الأولى التي يدخل بها المصمى صلاته لا تحتاج إلى
عناء ولا إلى مكابدة ومع ذلك فإن "أهل الله" يفتنون لأهمية، بر
لحتمية الحضور الكامل قبل وأثناء أدائها، وأدنى، فتقاد لهذا الحضور
بجعل صاحبه صفراً.. "فغسل يدك منه!!".

* * *

ولأنهم بصراء فالزمن والناس، ألقبهم يحتمون كن هدا الفزع
من الهفوات ومن الأخطاء.
هذا "يحيى بن أبي كثير" يقول:

"لا تعجب ممن هلك كيف هلك ولكن

اعجب ممن نجا، كيف نجا"؟؟

أجل.. هنا نلتقي بوحد من أهم مطبقاتهم وأدكاها. فمواقعة
الخطايا والتردى من مهالكها، هما القاعدة ولجاة هي الأمر الذي لم
يعد مألوفاً..

وهذه الكثرة الكثر من الهالكين بالإلزام لم تعد موضع عجب ولا
مثار تساؤل.. إنما العجب حفي مانل في نيك لقله الباجية معدوم
تفجأ قوة عزلاء في أرض مسبعة بوحوش قنلة تملأ كن شرف في العابة،

ثم نقص على ضحاياها نكل جوعها وعمها وصرارة نعرائر فيها.. فليس يتساءل أحد عن الصرعى، لمد، صرعو؟. بر سببءنوع عن الناجين، كيف حوا؟؟

واحياة شرورها.. والنفس بارتكسها.. والنفس ومضلاتها.. كل أولئك عبة، يعيش فيها "أولياء الله" على خطر عظيم.

"فالنامس هلكى إلا العالمون
والعالمون هلكى إلا العاملون
والعاملون هلكى إلا المحبسون
والمحبسون على خطر عظيم"

* * *

وهم فى فرارهم النبل من اسخطب والنفوات، لا يكادون يرون لأعمالهم الصالحات مقما.

و "سيمان، لنمى ذلك العابد لأوب، يقول له بعض، حوته: هبنا لك ما وفقب إليه من طاعة فعمس صالح، فيكون جوبه.

"لا تقولوا ذلك، فإننى لا أدرى ما يبدو لى يوم لقيامة من ربي.

ألم تقرأوا قوله سبحانه: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾!!

إنه لرائع، فهم "أهل الله" لحقائق الأشياء وسرهم أعوارها. بهم لا يستهيون بحسانهم تواصعا. بل لأنهم يرون لباب المسر والمحبوء للقصبة كلها.

وأعمالهم الصالحة - أولا - لا فصل لهم فيها، لأن الله هو السدى ورقهم إياها وهداهم إليها وأعانهم عليها.

ثم هي ثلثا صالحة بمقاييسهم هم وإحسانهم. أما بالعبارة للمعايير التي يتقاسم الله بها، لا أعمار ولا ندرون ماذا تكون؟ وهكذا فهموا الآية الكريمة، ثم ولولوا بها زلزلا شديدا

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ فِي اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾

ألم يسمعوا صديقهم الأول "أبا بكر" رضي الله عنه يستقهم إلى ذلك بقوله المأثور:

لا آمن مكر الله، ولو كان إحدى رحى في الحجة؟!

وهكذا، أرفقهم محافف الدوب، ولم يطمئسهم صوالح لأعمال.

هذا يونس بن عبد يقول:

"أتى لأحصى مائة خصلة من خصال البر، ما في منها واحدة!"

وهذا "مالك بن دينار" يقول:

"إذا ذكر الصالحون، فأف لي، وأف!!"

أما "العلاء بن زياد" فبشره صاحبه بأنه رآه الليلة في مامه كأنه في

الجنة، فيجيبه قائلا:

"ويحك!! أما وجد الشيطان من يسخر به

غيري وغيرك؟!.."

إله أيضا ليس التواضع.. ولكنه اتهام النفس الآننى من وفدة
المشاعر، لوجلة من فلتات الخطايا، والمرددية - فى حسب الله - كل
لأعمال الصالحات.

ومن قسمتهم تجاه الخطايا، أنها المسئولة عن انطماء سور
الشخصية وضياع بهاؤها
بحدث "سلمان التميمي" فيقول:

"إن الرجل ليذنب الذنب، فيصبح وعليه
مذلة"

فالدنوب اتى ظن أن قد سرها عيب ظلام، للبل، يفضحا وإياه
ضوء النهار..

والذنب - أى دس - وفى أى زمان برنك، وبأى مكانه. بترك علينا
بصماته المهيئة والمدلة.

و "أهل الله" الذين يقرأون الوجوه فى نظرة، أكثر الناس إدراك
ورؤية لهذه البصمات؛ من أجل ذلك فإن حديثهم عنها حديث خبير
من للذنب عندهم رائحة تفوح، وشوهاب تلوح!!

ولئن كانت هذه الشوهاب تكسر ظمير الشخصية بالمدلة والهوان،
فإنها تملأ باطنها بالضباب والظلام.
يقول "ميمون بن مهران".

"إن العبد إذا أذنب ذنبا، نكت فى قلبه
بذلك الذنب نكتة سوداء - فإن تاب
محيت من قلبه فتى قلب المؤمن مجلو.

مثل المرأة - لا يأتيه الشيطان من ناحية
ولا أبصره .."

"وأما الذي يتتابع في الذنوب، فلا يزال
ينكت في قلبه حتى يسود جميعه، فلا
يبصر للشيطان من حيث يأتيه".

إنه يستهيم حكمته هذه من حديث مأثور لرسول الله ﷺ وتصلنا هذه
الكلمات بقضية أخرى لها في الفكر الصوفي مقام عظيم، تلك هي قضية
"التوبة".

إن "أهل الله" الذين يهولهم خطر المعصية، بل والهوة إلى هذا
الحد الذي رأينا، تمنح قلوبهم وتفتح وعيهم على رحاب الرحمة
والمغفرة فيرون في خلالها، تسعها ما لا يرى سواهم من نوبة الس
يقول أحدهم، وهو "أوس بن عبد الله":

"ليس ثمة ذنب يقول الله له: إنني لا أغفر
.. إلا الشرك به سبحانه"

لقد احنار "أوس" رضى الله عنه هذا التعبير الرفيق الشاعرى
المرهم، ليعكس شعوره للمنى والفاصل برحمة الله

ليس هناك ذنب مهما جشم وغلظ يستطيع أن يتعاضم عفو الله
ومغفرته.

إن لحظة عابرة تحمل نوبة صدفة، لمذكك دك خطايا عشرات
السين حتى تعود وكأنها ما كانت.. لا - بل:

﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾!..

لشرك بالله فقط هو الذي يحرم حور العرود إلى عمو الله وهذا جراء طبيعي وعدل، لأن هذا لشرك ينصم إكثار وجود الله بلكمال والجلال اللذين وصف بهما رب داته.

ومن ينكر وجود الله ويحصد كمنه وحلاله ووحداًسه في إصرار أعمى وضلال مهين، يقد الحق في رجاء آلائه ومغفرته.

أم الخطايا دون الشرك فسواييس منها لا رحمة الله فحسب، بس وحنه أيضاً:

﴿إن الله يُحب التوابين ويُحب المتطهرين﴾

والثوبة عندهم، نزوع جاد، ونصميم حارم على تجنب الإثم ومجر الحظيئة. والناس فيها درجات.

يقول "عبد الله لتميمي":

"شتان ما بين قائب يتوب من الزلات..

وقائب يتوب من الغفلات.

وقائب يتوب من رؤية الحسنات"!!..

فهذا من بوب من لذب . وهذا من لم يذب، لكنه عصى بعض العصى، فحق عنه أن يوب!! وثالث لم يذب ولم يعمل . لكن قد مره لحظت رصه عن نفسه وشعوره بعبادته.. فهذا اسرار أنصا له توبه تاسب مقامه.

لهذا، كن لتوبة كذلك عندهم درجات.

يقول "أبو على الدقاق"

"إنها التوبة .. وإقامة .. والأوبة .."

والذين على أول طريق، لهم التوبة يتطهرون بها من ذنوبهم التي
ثقل ظهورهم وذكرياتهم.

و الذين في وسطه، لهم الإجابة، ينحسرون بها إلى الله في حياء
التقصير..

والذين وصلوا، لهم لأوبة يختصون بها إلى الله في غبطة وشوق.
وفريق من "أهل الله" يضل التوبة من الدنوب بحسبه الله وصلا
وثق وذاك كما يضل مفت التائب بذنبه و ثم يحول به ويبين
مراجعته، أو حتى الرغبة في تذكر نشوته الكادية.
فيقرر "سهل بن عبد الله" :

"التوبة ألا تنسى ذنبك"

و "أهل الله" لا يظنون، لي لتوبه باعتباره مجرد بروع محمود
عن الدنوب، بل هي قبل ذلك وفوق ذلك إعادة صياغة وبعاء للإسار
الريائي القريد.

يقول "إبراهيم السحبي" رضي الله عنه:

"جلاء القيوب التوبة .. وإنها لتدع قلب
التائب كلسيف النقي، لمرهف"

كما أنهم لا يظنون إلى التائب كرجل مشبه، يطارده ماضيه
الناس من مصاحبه ومؤخاه. لا، بل، التائب الصادق "عندهم راحة
من راحين الله والحق.. لا يحرمون على مصاحبه وحسب - بل

ويتقربون إلى الله بهذه الصلحة، ويلتمسون عنده رحمة الله! هذا
 "إبراهيم النخعي" مرة أخرى، يوصي فيقول:
 "جالسوا التوبيخ، فإنهم أرق الناس
 قلوباً.. ورحمة الله إليهم أقرب" ..

بل إن "أهل الله" عليهم رصود الله وسلامه، ليفذون بصبرهم
 إلى أعماق أبعاد، حين يربطون وجودنا الإنساني كله بنعمة الله ويرادته،
 ونقصه..

ويهدده لظرة انديفعه والعميقه كم من ديب، كان احتلاج صاحبه
 بوقعه، ثم صدق بوبته منه معراجاً إلى كمال رويحي نعتز عن بلوعه
 صاعدت كثيرة!!

هذا "أبى عطاء الله السكندري" يعطينا، لتعير النهائي لهذه
 الفلسفة البارة المبرورة فيقول:

"ربما فُتح لك باب لطاعة، ولم يُفتح لك
 باب القبول، وربما قُصي عليك بالذنب،
 فكان سبباً للوصول" !! .

ألا ما أروع، ثم ما أروع!!.

فأنت قد توفيق للطاعة.. ثم لا يفتح لك باب المثول، ولا تمنح جواز
 الوصول..

بيما آخرون اعترفوا بدوهم، وذف بهم بغير الندم الرهيب إلى
 أعلى، فإذا هم صعاة، وفي مثل سمع اصبر في أحضان النعمة واشهود
 والقبول..

ذلك أن الطائع قد ينكل ولو بحسن به على الثواب المرصود
 لطاعة.. أم الكاذب فمادامه؟ ومن له؟.. إنه بشعوره ودللا شعوره فيه
 يطرح نفسه عند عباب رحمة الله الكبير المعال.
 إنه بدموعه ويضراعتيه، وبمتهانه صغفه الوالغ فى الحطيفة،
 ويسجده بتقائى و لحقيقى من حوبه ومن قوته إلى حول الله وفوه كن
 ذلك يجعله من الله جد قريب وجد محبوب!!.

وهم لهذا يعمون دائما حسن اللجوء إلى الله.
 هذا "إبراهيم النخعي" يدعو ويعمنا أن تدعو قائلين:
 "رب، إن نفسى لم ترحمنى فأرحمنى.
 رب، عافنى منها، وعافها منى.
 رب، أصحبنى لها، وأصحها لى"
 وهذا "أبو حازم سلمه بن دينار" يواص حديث القوم عن فسفة
 الذنب، وفلسفة التوبة، فيقول:

إن لعبد ليعمل السيئة، ما عمل حسنة قط
 أنفع له منها، وإنه ليعمل الحسنة، ما عمل
 سيئة قط أضر عليه منها..

وبزيد الفضية تفسيرا وتوصيحا، فيقوله:
 "... وذلك أن العبد يعمل الحسنة فيزهو
 بها ويشجبر، ويرى أن به بها فصلا عنى
 غيره.. ولعل الله بهذا يحبطها ويحبط
 معها عملا كثيرا..

ويعمل آخر السيئة فتسوءه .. ولعل
 الله يحدث له بها وجلا، حتى يلقاه وإن
 خوفها في جوفه لباقي..."
 كذلك يواصل حديث القوم عن جلال التوبه وبهاء عماها،
 فقول:

"عند تصحيح الضمائر، تغفر الكبائر
 وإذا عزم العبد على ترك الآثام، أمه
 العتوح..
 "إذا عزم العبد على ترك الآثام، أمه الفتوح"!!

عبارة جميلة بقدر ما هي صادقة فالله البر الكريم لا يستصر من
 عبده أكثر من رغبة صدقه في الاتجاه إليه، والسعي لمرصده،
 هناك تائبه من كل مكان ونعم إليه من كل أفق معونات الله
 وفتوحاته.

وعند سقاية لبواب وضمائر، تتلاشى الكناز ويدوب وسادى
 من سمء صافيه وحابية.

"لو جئتني بجلء لأرض خطايا لجئتك
 بمئها مغفرة"!!

المطوب كنه، بدم صادق عسى ما فات وتوبه صادقة لما هو آت.
 ويقول "الأسود بن يريد البخعي" لأصحابه وتلاميذه

"تدرون ما الداء، وما لدواء، وما

الشفاء؟

لداء، لدنوب، والدواء، الاستغفار،
والشفاء، التوبة التي لا رجعة فيها ولا
سكوى

وكلما استقام الصمير، كاتب أسويه ناجعة ليس ذلك فحسب به،
"إن العبد إذ خلصت سريره، قال الله:
هذا عدى حقا"

هكذا قال "مطري بن عبد الله".

إننا حين نفقد لحظة الصمير، نفقد معها ما هو شر من الإثم ومن
الخطيئة، ألا وهو الاستهانة بهما والاستحفاف بهما، فلا يبقى هناك
معا أثارة من ندم تجعلنا على لأقل عارفين، لحير من اشر، والإثم من
بطاعه.. كم تحبنا موصولين ولو سبب وآه مع إرادته الرجوع
والتصحيح.

وهكذا نقارف الخطايا فرحين ولا مبالين.

ثم ماذا تكون العاقبة؟..

يقول "يكر بن عبد الله المزني":

"من يأتى الخطيئة وهو يضحك دخل
النار وهو يبكى"

وهو مصير عادل. إذ لا يستوى من يعلبه ضعفه وهواه فيأتى الدب
وهو مفرع ممرور ومن يأتيه حسورا، سادرا، جدلا.

إن الاستهانة بعواقب الدنوب، دب أحضر من الدب، لأنها - كم
يراهها أهل الله - تجاوز العصبان إلى الحدى، لاسبم إذا صممت

لر هو بالخطيئة والإصرار على عيوبها.. ومن هنا كانت خطيئة السر
رجى للرحمة وأقرب إلى المعصية من خطيئة الجهر والعلن.. شريطه أن
تتحو من ملوك لتصبح وإصرار.

وإضافة إلى خطر الذب على صاحبه، أي ما تكي صمة هذا
لذب. فإن الجهر به يقبه إلى مرحلة أخرى من مراحل الخطر تلك التي
يعبر عنها "بلال بن سعد" فيقول:

"إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا
أهلها وإذا أعنت، ولم تغير، ضرت
العامة"

* * *

ويعود "أهل الله" إلى التذكير برحمته الله، والتشجيع بعفوه، وذلك
شأنهم دائما حين يعالجون أزمة السوك الإنساني
منصع إلى هذه الكلمات، الخطوة البارة يحدث بها "بلال بن سعد"
أيضا.

"إن لكم ربا، ليس إلى عقاب أحدكم
بمسارع.. يقبل العثرة، ويقبل التوبة.
يشب لمقبل إليه، ويشفق على المدبر
عه."

والحق أن فسفتهم هذه تحبه الإنسان وخطابه سمع عن أدبهم
الرفيع تحبه الله، وليس فقط عن رفقهم الحاني بالإنسان.

ذلك أنهم بقدرهم الله حق قدره، ويدركون كم نحن حتى بطعنا

عاحزون عن أداء شيء - أي شيء - من حقه وشكره، فالتقصير و التقصير
هم شيمة الإنسان تجاه ما لله عليه من فضل و نعمة.
من أجل ذلك، كان "أهل الله" أكثر الدس قلق من أجلهم الصالحة
مخافة أن يكلمهم الله إله، فلا تفي بشكر نعمة واحدة من نعمه عليهم
وكانوا كذلك أكثر الدس - حتى العصاة منهم - فرقا من مساءلة الله
وحسابه.
ولم أمتع وأجمع تعبير عن هذه الحقيقة بحد في ذلك، لابلها الذي
كان يردده أبو عمران الحوني".
"اللهم اغفر لنا علمك فيا"..
ويهدده لمشاعر الذكوة - أيضا - كانوا يفرقون بين أن يكون المؤمن
صالحا.. وأن يجعله الله صالحا..
فإن يكون صالحا، أمر يرجع إلى جهاده واجتهاده الذي هو عرصنة
للخطأ والزلل، وربما التوقف أو النكوص..
أما أن يجعله الله صالحا، فأمر مرجعه إلى توفيق الله واصطباعه:
"واصطنعتك لنفسى"
من أجل هذا كان دعاء "مالك بن دينار":
"لهم أنت أصلحت الصالحين،
فاجعلنا صالحين"..

و أهل الله " إنما يَعُدُّونَ الْأَنْفُسَ بِالْحَصَوِّعِ وَيَطْهَرُونَهَا بِالْوُضْءِ، لِكَيْ يَحْمِلُوا نِعَمَاتِ وَجُودِهِ مَمَشَّةً فِي الْحَيَاةِ أَنْصَبَهُ الَّتِي تَرَعَرَعُهَا الْأَعْمَارُ، لِمَصَالِحِهِ وَالسُّلُوكِ، لِكَيْ يَصِلُوا إِلَى الْمُسْتَقِيمِ.

و لعبادة عندهم شرف لصاحبها، وإعلان لجدرته بأن يكون إسماء، فيس بين ردائل البشر ما يمش سقالة لروح وبذالة لعن مثل الغدر بالتعنة وعض اليد المسوطة بالمعروف والجميل.

ويعلم الله على عباده رفقت ووحداً أَوْضَحَ مِنَ الْوُضُوحِ ذَاتَهُ، وَتَحَدَّى رَادَّتَهُ وَالنَّصَبَ عَنْ بَدَائِهِ وَدَعَا نُهُ عَدُوِّهِ سَعَمَهُ وَكُفْرَانِ بَعْضِهِ.

والذي لا يستطيع أن يرى نعم الله عليه، ولا يقدّر على حفظ جميلها، لن يرى أية نعمة أخرى يسديها إليه الناس، وهو بالتالي أعجز عن أن يحفظ لمخلوق جميلاً.

لذلك، فأهمية العبادة عند "أولياء الله" أنها تمثل أوضح ملامح الإنسانية هي للإنسان، الوفاء.

والذي لا وفاء له ربه، إنسان ضاعت منه إنسانيته في رحمة الظلمات.

يقول "يريد الرقاشي".

"ألا تحمد من تعطيه فانياً، يعطيك باقياً؟
درهم يفنى، بعشرة تنقى إلى سبعمائة
ضعف..

"أما الله عندك مكافأة؟.. يطعمك..

ويسقيك ويكفيك.. يحفظك في ليالك

وبهارك.. ويحييك في ضرائك"؟..

وقد مثل "الحنيد" عن الشكر فقال:

"ألا يستعان بشيء من نعم الله على

معصينه..

فشكر الله عندهم لس ذلك الترداد العموي لكلمات الحمد، بن هو

العمل الصالح الذي يبرهن به العبد على وفائه لنعمة وولائه لمنعمه..

يقول "أبو حارم سمة بن دينار":

"مثل من يشكر الله بنسائه ولا يشكره

بطاعته، كمثر رجل له كساء أخذ

بأطرافه، ولم يكس به جميع جسمه.. فهل

يقيه ذلك من حر أو برد؟

من أجل هذا، ولأن العبادة تحية شكر يؤديها العبد لربه في تقصير

شديد وحاء أشد - كان لابد أن نحىء كريمة نقية - يرحو به صاحبها

وجه الله في تحرر من العرص العاجل.

أجل، إن لعدة تزكو عند ربنا، وينشر عيهر حين تكون قربي لا

صفقة يحاول العبد المساومة بها وعليها من أجل نفع رخيص.

هكذا يحملهم أديهم مع الله وحيهم منه، أن ينظروا إلى العدة.

يقول "زين العابدين - علي بن الحسين رضى الله عنه:

"إن قوما عبدوا الله رهبة من العذاب،
فتلك عادة العبد.

وقوما عبدوه رغبة في عرض، فتلك عبادة
لتجار.

وقوما عبدوه امتثالاً وشكراً فتلك عبادة
لأحرار!!".

ليس معنى ذلك أنهم يعمطون قدر من عبيد الله ويتركون علي ما عتبه
سواء كان حافظ العادة الرهبة أو رغبة، إنما معناه أنهم يصنعون
لمقياس لمثلي للعبادة، والذي يحب أن يباط بسويعه كل جهد المؤمن
وحجاده.

دلت أن أهل الله بقدر ما كانوا يحرصون على أن يكونوا في الدرب
شعثاء، غبراء، سطاء، مجهولين، فقد كانوا في طاعة الله ينافسون على
الذرى، ويراحمون حول القمم!!.
هذه "جابر بن زيد" يوصي فيقول:

"إذا جئت يوم الجمعة فقف على باب
المسجد، وقل: اللهم اجعلني ليوم أوجه من
توجه إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأنجح
من دعاك وطلب منك!!".

إن ابن نجد منهم واحداً يسأل الله أن يجعله أوجه أهل الدنيا

بل كل دعاء أكثرهم أن يجعله الله حامل الذكر بين الناس!!

أما في مقام العبودية وعبادة، فهي لسبق على أشده والنفس إلى أقصى مداه.. وهب الإلحاح على الله من كل وى لله وعد صالح أن يرزقه أوجه العبادات وأسمى الطاعات.

* * *

و "أهل الله رضى الله عنهم أجمعين، إنما يبدء العمل الصالح عندهم من لحظة هي 'بعد ما تكور عن العمل، وفي نفس لوف أقرب ما تكور إليه وألصق ما تكور به.. بن هي صميمه وجوهره وأعصابه.. نلكم هي.. اليه.

الله روح لعم.. وعمل بغير نية، جسد بغير روح
يقول "إبراهيم النحعي":

"فواتح التقوى، حسن النية"

وخواتيمها، الوفيق".

كما يقول:

"من أصلح سريره، أصبح الله علانيته"

فالنية، هي عبادة لسريرة، وهي مصاح العمل وبوره.

ولقد كان اهتمامهم بها، وعكوفهم على تحييرها أمر. يقول
اهتمامهم بالعمل ذاته بل لقد بلغ الأمر ببعضهم أنه حتى إلقاء
الموعظة أو المصباح لم يكن يحرك شفتيه إلا إذا كانت هناك نية صالحة
تربط الكلمات في طريقها.

ها هو ذا، يسأل ذات يوم أن يعط الناس، فبصمت فلا، ثم يقول.

"لا تحصرني نية!!".

وببدأ النية الصالحة بمجرد العبد من حوله وقوته ملتصقا توفيق
الله محلصا له الدين.

من أجل هذا كان "سعيد بن جبير" ذائب الدعاء:
"اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك
وحسن الظن بك..."
ويقول "يحيى بن أبي كثير":

"تعلموا، النية، قريبا أبلغ من العمل"!!

فانية إذن من عظيم. وبعد كان لهذا الصري من بين الأوياء
المعتمدين أسسدة تلقى أتااعهم "صوله، ويعلمون مريدتهم وبلا مذهبهم
كف يشرون أعمالهم بالياب الصالحة إثراء عظيما. وحين تتسع
أثرهم وأخبارهم ترى عجب حيث تنصر لكثيرين منهم ثم يكونوا
يهمون بإسحار عملهم حتى يحشدوا له ياب كثيرة قد بلغ الأربعين
والخمسين وهكذا ينهي أحدهم من عمله الواحد وقد كتب له عند
الله أعمال أكثر بعدد نواياه

ولقد تعلموا، ما لنية الصالحة من قدر من قول الله سبحانه:

"وما أمروا إلا ليعبدوا الله محلصين له
الدين".

أدركوا أنهم لم يؤمروا بالعبادة فحسب، بل بالعبادة الصالحة
بالإخلاص لله والتجرد له. والإخلاص ليس عملا، إنما هو روح كل
عمل. والسنة الطيبة الصالحة هي مظهره ومحبره.
كذلك تعلموه من قول الرسول الكريم:

"إنما لأعمال بالنيات، وإنما لكل، مرئ
ما نوى"

فهو لم يدع الرسول عليه الصلاة والسلام أى شك فى أن النيات
هى كل شئ فى الأعمال الصالحة، وزاد القضية وضوحاً وجلاءً حين
فصل القول فقال:

"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهجرته إلى الله ورسوله..

ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو امرأة
ينكحها، فهجرته إلى ما هجر إليه."

فيها قوم مهاجرون، مسافرون فى رحلة واحدة، وفى قافلة واحدة.
ومع ذلك فقد يكون بين أحدهم وآخر من لتفاوت فى المرلة عند الله
كما بين السماء والأرض بعدا. ولماذا؟ بسبب الية وحدها.

إن الهجرة - مجرد الهجرة - لم ترفعهم إلى مكة المهاجر إلى الله
إلا بقدر ما فيها من بية التوجه إلى الله والإخلاص له.

وهو نلتقى بـ "مالك بن أس" رضى الله عنه يقول

"إن لمن يسجد لله، ومن يسجد للصنم
صورة واحدة فى سجودهما.. ومع ذلك،
فالأول عابد، والثانى كافر.. لقد فرقت
بينهما النيات."

ولقد كان من اهتمامهم باليه أن صمموا في فصلها وفي فصولها لمصنفات.

ولعل كتاب أبي الحاج - المدخل إلى تسمية الأعمال بتحسين ليات - والمسطور في أربعة أجزاء. لعله به على ما للنية في حياة لإيمان والمؤمنين من شأن وحظر.

يقول الإمام الغزالي "رضي الله عنه،
"النية والعمل، بهما تمام العبادة"
"النية أحد جزئيهما، لكنها خير الجزئين"
ويقول "سالم بن عبد الله":

"أعلم، أن عون الله للعبد بقدر نيته، فمن
ثبتت نيته، تم عون الله له، ومن قصرت
عنه نيته، قصر عنه عون الله بقدر ذلك".

علام يدل كل هذا الولاء للنية عند "أهل الله؟ إنه يدل - أول ما
يدل - على أن أولئك الأبرار كانوا أقداد، يتعاملون مع قلب الأشياء
وليس مع الوهنة العبرة والسطح المنظور
ويدل على أنهم كانوا اساندة في فن إثراء الحياة! حقا، إن الدين
الحاصل، وإن عدة الله الواحد القهار لا يدرك سموهما المحيد، لا
من حلال علاقه لأبرار من الناس والمنتقن من لشر بالدين وبالعبدية
إن النظرة السطحية إلى موقفهم من الوفاء وربط الأعمال بها
لتحرم صاحبها من اكتشاف الذكاء العميق، بل النور العظيم الذي

كانت تحميه بصائر أهل الله وأوليائه.. هؤلاء الشُّعث الغبر الأبرار
الذين لا تقع عليهم الأعين من زحام الوجوه الكاذبة والتدح المارح
المزور.

فإذا كانت الحياة الإنسانية لا تقوم إلا بالعمل الصالح والجداد
والبناء، فإن إثراء الحياة بهذا العمل، هو أمش السبل لإنمائها وإزائها
ودعم تقدمها نحو المصير.

وشحن الأعمار بالنوايا الطاهرة والفاصلة توسيع غير محدود
لمساحة تفهم وتقود. كم أنها تحرير للعمل ذاته من شوائب
الارتكس وهواف لا حراف.. ثم إنها صمل رائع سحصبه الإنسان
الذى يصدر عنه العمل. إذ هو بهذه النوايا لطيفه لمستقيمة لتى
تواكب دوم أعماله وحياته، إنما يعجدد باستمرار هواء نفسه وروحه،
وإنما يستبقى لوجوده كله صاخ مترع بكل بواعث لعظمة والظهر
والاقتدار.

تري، هل هناك ما يمنح الحياة الإنسانية رشده ومجدها أكثر من
هذا السيل؟..

وألين "أهل الله" بموقفهم هذا، إنما يمشون دكاء فريدا،
ويحملون بصيره بفضه، ويقدمون للإنسان ولحياه أمش الأفكار
والمناهج التى تشد أزرها، وتؤم مصيرهما؟؟.

إن نوايانا هى شحصتنا الباطنة، فالنية لنية الصالحة تدلنا
على وجود قلب نقى صالح ورءىء، وانعكس قائم.

و هنام "أهل الله" بالتوايا إذن يتصمن، أو ينصمه اهتمامهم بالقلوب.

يقول "أبو إدريس الخولاني".

"قلب تقى في ثياب دنس، خير من قسب
دس في ثياب نقية".

* * *

و لعدة عندهم قوامها الهمة العلية والعزم لرشد... ومن ثم كان
المشاربون عليها أبرارا

ذلك أن العقبات أمامها وأمامهم كثيرة وشاقة.
يقول "مالك بن دينار":

"ما من أعمال البر عمل، لا ودونه عقبة،
فإن صر صاحبه أفضت به إلى رُوح ونعيم.
وإن جزع رجع"

ومن شذوية المهم والعارة، قوه رضى الله عنه "أفضت به إلى روح
ونعم، ولعقبة هنا وليس لعمل هي النسي منقصى به إلى لرضوان..
ولماذا؟ لأن مكابدة هذه العقبة وعدم الهروب منها والاسسلام لها قد
حولت - أعنى المكابدة - إلى قصيدة أخرى قد تفوق العمل البار الذي
كان بهم بإحزاه.. كما أكتست هذه المكابدة روحه من الصلاه والصقل
واسور ما جعلها نعمة سابعة بعد أن كانت تبدو نقمة صعبة وعقبة
كأداء..

ومن عمت العبد لكس والضجر.. و "أهل الله" ينظرون إلى هانس الآقتين نظرة كنها حذر ونريص، فهم يدركون من ربتهم وتجربتهم كم يتكر الضعف الإنسانى فى الكسل وفى الضجر فيمضى بهم على أبهى الأعمال وهى لا يزال بعد فى عمرها الغص و أيامها البكرة.

يقول "محمد لباقر" الإمام المرمى:

"يا بنى.. إياك والكسل والضجر، فإنهم مفتاح كل شر، وإلك إذا كسلت، لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت، لم تصر على حق".

أرايم عمق الرؤية، وبعد الفهم، ودقة التعبير؟

بنا بالكسل، لا تؤدى حق ولا واجبا.

وإننا بالضجر لا نصر على حق ولا على واجب.

وهذا أمر يشاهد فى حياة الناس، حتى بالنسبة للواجبات التى

تقىء عينا معام عجة.. فكيف إذن بعبادات، التى نطلب لتبطل

والصبر الطويل؟..

ولضجر فى العبد، كثيرا ما يكون وليد الوسواس الشيطانية

الحبيثة. فالعابد لا يكاد يبدأ مسيرة عبادته حتى نفور فى نفسه وتموح

وتتصحر كل رواسب الهوى وكى عراعات الشيطان

و "أهل الله" لا يجزعون لهذه لظاهرة.. بل يفرحون بها

ويستبشرون، لأنها علامة عسى أن كف حهم الروحى إنما يضرب فى

الصميم وعلامة على أنهم بدأوا يكسبون انتصارات حقيقية يعرى بهم

وبها، النفس والشيطان.

هذا هو "العلاء بن رباب" يتحدث:

"إن اللصوص إذا مروا بالمكان الخرب
لمهجور، لا يُلَوْنُ عليه ولا ينظرون إليه،
فإذا مروا ببيت العامر الممتلئ تربعوا
به واثمروا عليه"

رائع هو الآخر، هذا الأواب الفديس في عمق ذكائه، وجمال
تصويره.

واللصوص فعلا لا يعاون مكان خرب ليس فيه ما يُبِل لهم
لعايا وما رسم نص قط محاولة لفتح حرايه مهجورة. إنما هو يحطط
ويقرر ويدبر ثم يحاطر ويتسور البيوت العامرة بالمعتم والمناجع إن فبت
لمؤمن السائر، إلى الله، هو ذلك المكاب العامر بالمعتم، تحاول إغواءه
كل قوى الشر من نفس وشيطان وإخوان سوء ومن ثم فهذه القوى نصف
عنده ونحاول اقتحام حمده ونعمل بد، للحرب والهت فيه، ومن هـ لا
يتنعي لصاحبه أن يصجر أو يحزع ويأس.

إن "أهل الله" يهيبون به أن اصمد وأنبئ واسنر وامض في
طريقك قدما. إن اللصوص، بصوم الإيمان والحر لم يتسوروا قبك
إلا لأن بد، حله كذا ثميا هو كل بواب الهدى وخطه لحياة الجديده
الظهرة لتتيسر بها إلى الله اعنى القدير.. ولو كان قلبك خربا، ما
وقفرا عنده، ولا بدلوا أى جهد فى غزوه واقتحامه.

* * *

ومما يساعد العبد المؤمن على افتتاح هذه العصبات إدراكه
جلال مسعده وبيل كفاحه.
يقول "مورق العجلى":

"المستمسك بطة الله حين يَجُتُّ، لناس
عنها، كالكار بعد الفار".

أجن. هذا نطل المعمعة، ورجل الرجال.. هذا الذى يقهر إغراء
النفوس وإغراء البيعة وإغراء الإثم ليقف ولو وحيداً إلى جانب لفصيله
والخير والعمل الصالح.

و "أهل الله" لا ينظرون إلى العمل الصالح ككثيرات متو ضع.. بل
هم مدركون تمام لما ينطلبه من جهد جهد، وعناء شديد.
يقول "إبراهيم بن أدهم":

"إذا أردت أن تقترب من درجة الصالحين:
• فأغلق باب الراحة، وأفتح باب الجهد
• وأغلق باب النوم، وأفتح باب السهر
• وأغلق باب الأمل، وتأهب للموت".

ولم تكن هذه النظرة لتفაცهم عن العادة أو تحميمهم بها بل
على لعكس كانت مشاعرهم بها مشاعر العاشق المنشق، وكان ما
تتطلبه من جهد هو الذى يأخذ بأفئدتهم إليه، ويصرم عرامهم به. فهم
عند أول خطوهم على الطريق قد عشقوا الحظر، وكسوا أنفسهم له.
وهذا هو ابن النوبة، الجسور "دون المصرى" يقول فى هذا
المعنى الكبير:

"ما هائننى أمر إلا ركبته".

كذلك مما يشدُّ أزر العابد في نحدي تلك العصب إدراكه أنحو
 بأنه يقابل في معركة راحة لا محالة، فهو مهما بطل أمد بصره صد
 الهوى والنفس والشيطان سيتلقى من ربه الكثير الميعال جائزة فوره
 ونموقه، ويوم يلقي الله سبحانه سيخلف وراءه كل ما كان ملك يمينه من
 مال وجاه وديار. وسصبحه في يوم زهفه إلى الحبان صديق واحد وقى
 وحميم.. ذلكم هو عمله الصالح الذي عاناه في الدنيا ثم ربحه واجتدها.
 هكذا يحدثنا عبد بن حمير "فقول:

"كان لرجل ثلاثة أخلاء، نزلت به نازلة فبدأ
 بأقرب الثلاثة إلى نفسه يماشده لعون فسكر له
 وتغلى عنه..

ثم ذهب إلى لثاني، فأمدته بقليل من العون ثم
 تركه..

وذهب إلى الثالث، فهب لنجدته وقال له:

أنا معك حيث تذهب وأيان تكون..

قال أول، هو المال.. يحلفه الإنسان لأهله ولا
 يتبعه منه شيء..

والثاني، هم الأهل والعشيرة والصحاب..
 يشيعونه إلى قبره، ثم يتركونه وحيداً.

والثالث، عمله الصالح، يبقى معه إلى يوم
 البعث والنشور!!

هذه الصورة الرامزة الدكية، هي الحقيقة كاملة.. فليس هالك من
 أخلاء الدنيا على أكثرهم من بصحبك ويبقى معك سوى عملك.. فهر

يشق جهد، أو يعو ثمن أو تعز تصحية لانتفاء هذا الصديق الذي
سبكون رفيق أبد بأسره، ولبس رفيق عمر عير وسريع؟!

* * *

و "أهل الله" - كما ذكرنا - يربطون لعمل بالثبيرة والدأب..
فمواصلة العبادة خير سبيل لشحد إرادة الحير والهدى..
وإذا كانت البطالة في أعمال الدنيا مفسدة ونقص، فهي في
وأحيات، لدين وأعمال الآخرة أكثر نُكراً.
يقول فرقد السحى "في حكمة عميقة ونهكم دكي.
"نكم تلبسون ثياب المراءغ والراحة، قبل
أن تعملوا"

وهذا السلوك يرفسه "أهل الله وأويؤه" يرفصونه فكراً وسلوكاً،
ورب أسع نوبخ يوجه لصاحبه لهو هذه العذرة البارعة.
وإنما يرى مهجهم في العادة والطاعة، فرى عجبا..
هذا "حسن بن أبي سار" يُسأل في مرض موته، ماذا نشهى؟، فيجب
"ليلة شاتية طوية أحيى ما بين طرفيها في
عادة الله"...

وهذا هو "الريع بن حشم" نضب بالفالح، ولا يستطيع لأعمال
ولي المسجد إلا بمشفه، لعه، وصلاته في بيته هي رخصة مرضه، بن
ضرورة مرضه.. ومع ذلك يأبى إلا أن يخرج، لي المسجد بهادي بين
رجلين. ويقول.

إنني لأعزم أن الله يرحم من لي بترك الجماعة
في المسجد.. ولكي أسمع المؤذن ينادي،
حي عسى الفلاح.. وجدير بمن سودى رلى
الفلاح أن يجيب ولو زحما.. ولو حبوا!!

ألا رضى الله عنهم ورفع عنده درجاتهم هؤلاء الذين قدروا الله
حق قدره، وأحسوه حق حبه، فلم يقعوا في عذبه سبحانه إلا بأنفس
وأبهي ما يملك بعده الشريعة من عمل ويدل وإحدا.
لقد قال "شميط بن عجلان".

"رأس مال المؤمن دينه.. لا يُخلفه في
الرحال، ولا يأمن عليه الرجال"

ومكدا حمى "هل الله" ديبهم في قلوبهم، فلم يحسوه في رحل،
ولم يجاموا فيه أو يساوموا عليه.

وهم في مزاوولهم واجبات الدين وطاعة الله، تنوع مشربهم،
فقربو يمار ثم يعار على عذبه فيتكتمها ويخفيها، تحريا لأقصى
درجات التمثل والإخلاص.

فهذا "منصور بن المعتمر" فصى سه أشعث أعرج، بصلى وصرع
ويبكي، فإذا أصبح وطبع النهار كحل عييه، ودهن رأسه، وليس أجمل
ثيابه وخرج إلى الناس..!!

وهذا "الربيع بن خيثم" كان عمله مرا كنه، وإن كان لرجل ليعدم
عليه، وقد نشر المصحف أمامه يقرأ منه، فلا يكاد يبصر القدم حتى
يعطيه بثوبه!!

وهذا "زين العابدين، على بن الحسن" كان من أكثر الناس عطاء، ومع ذلك كان بسبب إمداده فى إحقاق قرينه وعطفه ىرمى بالبخل، فلما مات عرف الناس فحاة أنه كان يقوت مائة بيت وأسره فى المدينة وحده، وعرفوا أنه كان يحمل بمسه وعنى كفه وظهره أجربة الحز ليورعها فى ظمة الليل على المساكين!!

ويحدث المؤرخون أن أناسا من أهل المدينة كانوا يعيشون ولا يدرون من أين تأتيهم معاشهم، ولا يعرفون من هذا الذى يطرق أبوابهم بالليل حاملا رلهم ما يحتاجون حنى مات "زين العابدين على بن الحسن حميد رسول الله" فسم يعد الطارق يطرق أبوابهم ولم يعد الخيرات تحمى فى حىح الليل إلهم. وهكذا قال قائلهم، ما ففديا صدقة السر إلا يوم مات على بن الحسين

وثمة فريق آخر لا يرى بأسا فى إظهار عبادته الشامخة وعمه الشاهق، تحدثا بعممة الله عليه وأرساء فواعد لعدوه الصالحة، ونشرا لأعلامها.

يقول "ربيعة بن أبى عبد الرحمن":

"لقد رأيت مشيخة بالمدينة وإن لهم لغررا وعليهم المعصر والمورد، فى أيديهم مخاصر، وفى أكفهم أثر الحنء. ومع ذلك فإن دين أحدهم أبعد من الشرب لا تناله رغبة ولا رهبة".

وهذا "محمد بن، بمكدر" .. يقوم الليل عابداً، مصبياً ثم يذكر الله بصوت مرتفع جهير فسئل في ذلك فقال:

"إن هناك من يرفعون أصواتهم بالشكوى، وأنا أرفع صوتي بالنعمة والشكر".

* * *

وقد كانوا يتفننون في أعمالهم الصالحات حتى يخرج في أهلي صيغة وأحسن تفويماً.

وما نراه نحن مبالغة منهم وتطرفة، بل وسعي لأفْسَهم وحرمت لها، لم يكن في الحقيقة سوى الروح الشديدة والسبل لإيمانهم، نعم، واستعراغ الوسع في تقديم أروع ما يستطيعون وما يمكنهم أن يعرضوا على الأعلى.

هذا "صفوان بن سليم" يقضي الليل في صلاة وعبدية.. في الشناء يعتمد أن يقوم فوق سطح الدار، وحده يتلقى وخز الرمهرير، وفي الصيف يصلي ليله في حجره معلقة، لا يعبرها سعة منصفه. ثم يباحي ربه قائلا:

"هذا الجهد من صفوان، وأنت أعلم"

إنه يعتذر إلى الله، لأنه لا يجد أو لا يقدر على وميضه أشو يظهر بها ثم ربه أشعث أغبر مسكيب، حارم نفسه من براحة، سباحا نحس قدميه كل شهوات النفس وطببات الحياة.

وهذا "الأسود بن يزيد النخعي" يصوم حتى يحصر جسده ويدوى ويصح في حبه ثم يسحبه، وكذا واحد من ثم سبه من

النايعين انتهت إليهم إمامة الزهد.. ومع هذا فهو يبكى في مرض موته
ويسحب، ويشفق عليه أهله وصحبه، فيقول لهم:

"... ومن أحق بهذا مني، والله لو صنعت

المغفرة من ربي، لظمت تؤرقني هموم
الحياء منه!!

إن كل جهد يبذلون، وكل معاناة، وكل تضحية، وكل ما بأنون
من عبادة وتقوى لا يمثل في قسطهم وقياسهم أى مستوى مما يرجون
ويطمعون أب يتقربوا به، إلى الله من عمل.. ذلك أنهم يحسون همما
جسورة عالية، يزيد من قوتها وافتدارها وحسن توفيقها أنها تحيا في
الحير وتعمل له.

وصدف "يزيد الرفاشي":

"لأبرار هم نبأهم أعمال البر، وكفاك
بهمة دعتك إلى خير خيرا.."

و "أهل الله" لا يعدون الله اعباطاً، ولا يمارسون العمل الصالح
عن جهالة.. لا، بل أنهم بقدرسون المعرفة و لعلم والحكمة وسعون
إليها جميعاً بنفس القدر الذي يمدسون به العادة والطاعة
يقول "ميمون بن مهران":

"العلماء هم ضالتي في كل بلد.. ولقد
وجدت صلاح قسي في مجالسة العلماء"

ذلك بأنه عبر علم لا تكون ثمه عادة صحيحة، بل حشبه الله
وهي روح العادة، وجوهر لسلوك لأولياء الله.. هذه الحشبه نفسها، لا
نعرفها حق لمعرفة ولا نقدر عيها بمقام القدرة سوى العلماء، وبهم
لفهمون ندما ما تعبها الآلة القرآنية الكريمة.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

بقول "قتادة بن دعامة":

"باب واحد من العلم يحفظه الرجل، يبتغي
به صلاح نفسه وصلاح الناس، أفضل من
عبادة حول كامل"

وهنا يكشف لـ "قتادة" عن قيمة العلم في حياة العابد. كم
يوضح نوع العلم الذي عنه يتحدثون..

فهو ليس ذلك النرف الذهبي الذي ينحذه أصحابه وسنة لبكسبوا
به صلف الحاه، أو أكثر المال، أو ماصب الحاة. إنما هو الذي يبتغي
به صاحبه "صلاح نفسه وصلاح الناس"

سئل "محمد بن المكدر" عن التقوى، فقال:

"أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله"

فالعلم عندهم ضروري لتقوى. وهو نورهم على لطريق، ورادهم
في السفر. ومن هنا، كان تحصينه وإخلاص الية في تحصيله من صمم
لعبده والتقوى، وهم يحسم اسماسه من مصب درة التقوية من أجل
الوصول إلى أهدي طرائق عبادة والعمل، صابح. أي ان يكون
المرجو به وجه الله وحده.

بقول "ميمون بن مهران":

"إِنْ فِيمَنْ يَتَفَى هَذَا لَعْنَمَنْ يَتَّخِذُهُ
بِضَاعَةً يَلْتَمَسُ بِهَا الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَلْتَمِسُهُ لِشَارِ إِلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَمِسُهُ
لِيَمَارِيَ بِهِ وَيَجَادِلَ. وَخَيْرُهُمْ مَنْ يَتَعَنَّمُهُ
لِللَّهِ".

من أجل هذا، كانوا يحافون الكلام حتى في العلم والبر، محافة
أن يسدرجهم حلاوة الحديث إلى الرهو أو الرباء.
يقول "سعيد بن فيروز"

"لَأَنْ أَكُونَ فِي قَوْمٍ أَنْتَعِلَ مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي قَوْمٍ أَعْمَهُمْ"..
ويقول "محمد بن المنكدر".

"إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَخَافُ مَقْتَ اللَّهِ، وَإِنْ
الْمُسْتَمِعَ يَرْجُو رَحْمَتَهُ".

بل لقد بيع بهم الأمر أن جعوا من الكلام، ولصمت فضيلة شعلت
نفكيرهم. فمنهم من بوصى بالصمت، لا في الضرورات، مسنهدين بوصفه
الرسول عليه صلاة الله وسلامه:

"أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ".

وقوله عليه السلام:

"وَمَنْ يَكُفِّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاقِرِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ السَّيِّئَاتِ؟"..
..

ومهم من يحض على الحديث ما دام دعوة إلى خير، ومدد م
صاحبه لا يرائي به ولا يكذب.

يقول "أبو عبد الله بن أبي زكريا":

"طلبت تعلم الكلام فأدركت منه ما أريد،

وطلبت تعلم الصمت، فشق عني ذلك".

هو - إذن - كما يرى من أصداء الصمت الحكيم الذي أحبه "أهل

الله" ليكون سبيهم إلى التفكير والتدبر، وسيلهم إلى الارتفاع عن
شهوات النغو والزهو ولافتتن.

إن "أهل الله" مشغولون بالبحث مع الله عن طريقهم. فمصمهم

يسر حواء. بل هو عمر ممتلئ بأدكى التأملات الناطقة في دين الله
ودنبا الناس.

ومع تعدد وجهات نظرهم في هذه القضية، جاء مهم من اكتشف

لوحدة الكامنة في التعدد لهاتين:

ذلكم هو "بشر بن الحارث" الذي قال:

"إذا أعجبتك الكلام، فاصمت وإذا

أعجبتك الصمت، فتكلم

أجل - فلمقصود كنه ألا يكون حديثك، كمن هو صمتك، تعبيراً

عن هوى معتون، وبية غير صادقة.

إن العلم عندهم هو ذلك النور الذي يهديهم إلى خير ما يحب الله

لعاده من فضيلة وتقوى.

من أجل ذلك، ف نعم الذي شددون يضمن الهدوء السامع والصالحة.

يقول "شميط بن عجلان":

"يعمد أحدهم فيقرأ القرآن، ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره وحملها على رأسه، فنظر إليه جهة العمة، فقالوا: هذا أعم بالله م. فلو لم ير في الدنيا ذخيرة ما أقبل عليها.. فيتهاكون كما تهالك، فعمته كمثّل الدين قال الله عنهم: ومن أودار الذين يصونهم بغير علم.."

إن وظيفة العلم عند أهل الله "أن يدل الإنسان على الله، ويرشده إلى طريق التقوى، ويصاحبه في رحله اكتمال الروح حتى يلقي الله.. فم لم يثمر العلم الصوى و لورع والحياة الصالحة، فس يكون إدن سوى لغو فارغ.

يقول "زياد بن حرير الأسلمي":

"ما فقه قسوم لم يبنفوا التقى"

ويرى "أهل الله" أن العلم ليس سلاح صد الحهل وحده.. بل

وضد الهوى قبل.. وهما الدور الإبحى و لعباب بعلم والمعرفة

يقول "مالك بن دينار":

"لا تطلع شمس يوم إلا ويتنازع الإنسان
عنه وهو.. فيوم يغلب العلم الهوى فذلك
يوم غنمه، ويوم يغلب الهوى العلم، فذلك
يوم جرمه"

بن "أهل الله" يظرون للعلم ويلعبه حاصه كفانول لعباده ومنهج
له.. وكل سائر إلى الله ومعه سور الفقه والعلم حري أن يبلغ المرء
وبعائق العاية.
يقول "محمد بن كعب القرظي":

"إذا أراد الله بعبد خيراً رزقه حلالاً ثلاثة:
فقهاً في الدين، وزهداً في الدنيا، وبصراً
بعبوبه"

ويحدد "عطاء بن أبي رباح" مشهداً لعبادة وذكر الله عز وجل،
بمجالس العلم والفقه، فيقول:

من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه مجلس
السوء. قيل: وما مجالس الذكر؟
قال: مجالس العلم، يعرفون بها الحلال
والحرام، وتعرفون كيف تصلون، وكيف
تصومون، وكيف تتعبدون.

لكنهم حريصون في نفس الوقت، وليس السبب ألا يتحول الفقه
والعلم إلى قصايا جافة أو مجرد ثراء ذهني بل لابد له أن يظن قائم
بوظيفته في هداية السلوك وإعلاء الروح.

يقول "عمرو بن قيس الملائي".

"حديث يرقق قلبي، وأتبلغ به إلى ربي
أحب إلى من خمسين قضية من قضايا
شرح"

لقد كان "شرح" فقيها كبيرا كما كان من، لعباديين الصالحين.
ومع ذلك، فقد اختاره "عمرو بن قيس" مثلاً، لا تعريضاً له من ماله في
لتحذير من الفقه الذي يعلمه الناس لكونوا محرد قههء لأمعس..
وعلماء ميرزين..

ويقدم "أبو مسلم الحولاني" ليقول لنا.
"العلماء ثلاثة.

- عالم عاش بعمه وعاش الناس معه..
- وعالم عاش بعمه، ولم يعيش الناس معه..
- وعالم عاش الناس بعمه وأهلك نفسه

وبهذا يحدد أهل الله دور العلماء - أن يحياوا بـ لعلم ويحيا
ناس معهم به

أما حب نهم بالعم، فأن يكونوا صورة صدقة وكامنة لما يهدى إليه
لعلم من صلاح ونور.

وعندئذ، عيهم أن يطرحوه على الناس، ليحيوا، هم الآخرين به،
مثل حب نهم ينفدوه لصالحه النسي برفعها لهم عماؤهم العاميون
لأبرار..

وسم يُحرم "أهل الله" سعة الأفق .. فإن معهم من نور لصيرة
وثرء التجربة، وسماحة لروح ما يحجبهم أكثر لباس حظا من حسن
التقدير، ورعاية التصور
فالعالم عندهم، مطلب بأن يحقق عظمه في حياته وسلوكه، ثم بعظمه
اللباس ويعبئهم عنى تحقيق ما علموا في حياتهم وسلوكهم
يبدى بهم يدركون في نفس لوقت نه يد عجز لإسنان عن
اكتساب فضيله وكان قادر على دعوة لأخريين إليها ممس قد يقدر
بعلمه عنى اكتساب ما عجز هو عن اكتسابه بعظمه، فيس له أن يسكنه.
إما عليه البلاغ.

وهم في هد، آخذون بقول الرسول ﷺ.

"رُبَّ مُبْلَغٍ، هُوَ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"

يقول "ريد لرقاشى":

"خذوا الكلمة لطية ممن قالها، وإن لم
يوفق للعمل بها، فإن الله تعالى وصف
عباده المحسنين بأنهم: يستمعون القول
فيتبعون أحسنه .."

فكلمات العلم الطبقة الهدية، خيمت لحرص عليها وحرص
فرصها الموانية دونما نظر إلى مصدرها.

فـ "الحكمة صالة المؤمن، أنى وجدها أخذها".

والإنسان، لدى يعرف أكثر من الآخرين، ويملك قدرة على إبلاغ
الآخرين لكس ودعونهم إليه، وحب عبه أن يهض بهذا العمل حتى ورن

قعد به ضعه عن فعل ما يدعو إليه، ونسمة "أهل الله" في ذلك أن الحقيقة والمضيعة أكبر من أن يحجبهم عن الناس ضعف لداعي، كما أن انتظار الإنسان الكامل الذي لا أخطاء له، لكي يقدم للناس الحق والخير - انتظار سوف يطول مصيحا على الناس الكثير من فرص الانتفاع بالحق وبالحير.

هذا إمام من أئمتهم الكبر "عمر بن عبد العزيز" يقول:
 "لو أن كل امرئ لا يأمر بالمعروف ولا
 ينهى عن المنكر حتى يلزم بذلك نفسه،
 لما كان هناك أمر بالمعروف ولا ينهى عن
 المنكر، ولقل الواعظون والساعون لله
 بالنصيحة".

وهذا "سعيد بن حير" يمرر نفس لمدأ فيقول:
 "لو كان المرء لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، حتى لا يكون
 فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر"
 ويعقب الإمام مالك "علي كمدت سعيد" فيقول:
 "صدق سعيد، فأين هذا الذي ليس فيه
 شيء؟" ١٩

* * *

وإذا كان العلم عندهم ضرورة لكي يتابعوا سيرهم إلى الله على
 بصيرة وهدى.. فهذا العلم وهذا الفقه لابد أن يرتكزا على كتاب الله
 وسنة رسوله..

إن حبة الصوف وطريق، لتسل مبدئياً للمعاجات والإغراءات،
وما لم يكن مع أسالك نور قوى لا بحبوه.. وما لم يكن معه دليل لا يضل،
وإن رحلته قد تنتهي، إلى غايته هي أبعد ما تكون عن الهدف الذي شمر له
ونفض إليه.

ولور والدليل هما - كتاب الله وسنة رسوله.

فكل علم وكل فهم، يحدثهم بعيداً عن الكتاب والسنة، لا يمكن أن
يكون العلم أو الفقه الذي يوصيهم إلى الله

يقول إبراهيم التيمي "سهلاً إلى الله سبحانه".

"اللهم اعصمني بكتابك، وسنة نبيك من
اختلاف في الحق، ومن تباع لهوى،
ومن سبل الضلالة، ومن شبهات لأمر،
ومن الزيف واللبس والخصومة".

من كن هذه الآفات التي تعرض صديق الله إلى الله، والتي
ردده في دعائه - لا عاصم سوى كتاب الله وسنة نبيه..

من أجل هذا، كان فقد العالم العامل بالكتاب وبالسنة حسارة لا
نطاق.

يقول "أيوب السخيانى"

"إنه ليبتعني موت الرجل من أهل لسنة
فكأنما أفقد بعض أعضائي".

ويوصي أبو العالية صحبه فيقول

"تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترعبوا عنه، وعلّموه بالإسلام، فإنه الصراط المستقيم، ولا تحرفوا الصراط يحينا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم".

ويصيح مالك بن دينار قائلاً:

"يا حمة، لقرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ إن القرآن ربيع لمؤمن، كم أن الغيث ربيع الأرض".

فالقرآن هو الذي يهدي قلب المؤمن، وهو الذي يرفع روحه، وهو الذي يملأ حياته الفاضلة بالحبوب، وبمعناها بالور، وهو الذي يؤلق أشواق السائرين إلى الله، ويجعلها دائماً تتحقق نحو الملاء الأعلى.

يقول "مالك بن دينار":

"إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طارت قلوبهم شوقاً إلى الآخرة".

ويقول "قتادة بن دعامة":

"القرآن ستان العارفين"

* * *

ومن أذكى لغاتهم في علاقتهم بالعلم والمعرفة، وصينهم ألا يكتفى المرید بعلم واحد بأحد منه ويشقى عنه، فالخير للإسار أن يسكن من معلميه ماداموا من ذلك الصراط الذي يسير على نور من ربه

يقول "أيوب السحتياني"

"بك لا تبصر خطأ معيذك حتى تجالس

غيره.. فجالس العلماء وجالس الناس.."

والعلم عند "أهل الله" ليس مسألة تحصيل، بل محاولة لرؤية

الحقيقة من داخلها..

وكل تحصيل للعلم ومناقشة لمعرفة إنما يتوسل بهما للعلم

الحقيقي الذي يشاهدون به الله في آثار رحمته وحلال قدره

يقول "أبو القاسم القشيري" رضي الله عنه:

"هناك علم ليقين.. وعين اليقين.. وحق

اليقين.."

"فعلم اليقين لأرباب العقول.. وعين

اليقين لأصحاب العلوم.. وحق اليقين

لأصحاب المعارف.."

ومن "أصحاب المعارف؟" إياهم "أهل الله" الذين "صنعت عقولهم

وقلوبهم ب نور من الله.

* * *

وللعلم عندهم دروة لا يقعون دون بلوغها.. فك هي "أهمهم عن

الله".

"جل، إن لعلم نورهم على الطريق، ودليهم إلى الله، وعصمهم من

الاشرف والزلزل.. ولكنه فوق ذلك، لقوة التي نشهد فيها البصيرة،

التي يطاعون بها قلب الأشباه.

إنهم بالمجاهدة الصادقة ويدلن العلم الحق، يمتكون هذه الحاسة الدرة ولباهرة التي تمكنهم من رؤية الحكمة المنسرة في الأعماق والعميقة المختلطة بالحار، المعزجة ومماور السبوك

وإنهم ليتعدون ويعلمون، ثم يعبدون وسعهم حتى تحيى
أساعه المباركة التي يجنون فيها أوسى بركات جهدهم فيمتكون
ابصيرة التي تجعلهم يرون ما لا يرى لابس، ويعرفون ما لا يعرف
اناس.

يقول "الربيع بن أبي راشد" في ابتهاله إلى ربه:

"اللهم اجعنى ممن يعقل عنك"

كم هي عميقة وبالعة ادلاله، هذه العبارة اميتهله.. فمن يبلغ
امره الدرجة التي "يعقل" فيها عن الله، نه إذن لذو حظ عظيم.
ولقد سئل "عطاء بن أبي رباح":

"ما أفصل ما أعطى العباد؟"

"فقال: الفهم عن الله عز وجل"

فإن بعض الإيسر المؤمنين عن الله وفهم، يعنى أنه صدر قادرا على
أن يعدم لا مع الأشياء، بل مع جوهره وقلبه ويعنى أنه قد صدر
عبدا ريانيا "يرى نور الله ويضرب بيده.."

و "أهل الله". لأنهم بلعوا هذه لمزله رأيهم يحررون من عادة
الأشكال وعدة النصوص.

وعليا إذن حين يرى أحدهم لا يعبأ بالشكل، ولا يصف عند

ظاهر النص ألا ترد تفسير ذلك، لى جروح وبطرف.. بل إلى تلك السمة الكبرى التى معهم - "نعمه" النسيبة والفهم عن الله.

على أنهم فى مقامهم هذا ويموقفهم هذا لا يتمردون أبداً على، لعلم بمصادره المعروفة ولا يفصل سلوكهم قيد شعرة عن الخط الذى رسمه القرآن ورسمته السنه.. إنما يمارسون التعاليم من خلال بحريتهم لتي أثراها عطاء الله، وزاد من إدراكها نوره.

ولهذا، فإن "بصيرتهم" هذه تعمل بحريه مسرمة، ولكن إلى أبعاد لا نكد ترى لها حدوداً.

وهذا يفسر - فيما يفسر - سبب التفاوت الذى يلاحظه فى أدوهم وأعمالهم.

فبينما يؤثر بعضهم، تنكشف و لشظف، يؤثر لبعض الآخر السمع المباح بطبيبات الحياة

وبعض بعضهم مثلاً إحماء العبدية - ويؤثر بعضهم، علائها.

يقول "نكر بن عبد الله المزنى":

"لأن أعافى فأشكر خير من أن أبتلى
فأصبر"

ولكن، لى جواره، نجد آخرون يفصلون السلاء ليصهرهم وبصهرهم.. ثم "حريص، لا يضلون هذا، ولا ذاك. لأنهم لا يحذرون لأنفسهم. وإنما يختارون ويؤثرون ما يخدعه لهم الله رب العالمين.

وهذا حوار جرى بين اثنين من "أهل الله" هما "هرم بن حبان" و "عبد الله بن عامر".

كانا يؤمان الحجار مع.. وحلال اسفر وقد بلغ من الطريق أرض
مشجرة، أخذت راحلتهمما تحالجان أوراى لشجر، فقال هرم لابن
عامر:

- أحب أنك شجرة كهذه، وسحو من الحساب و لعقاب؟
فل ابن عامر: لا والله، فربى لأرجو من رحمة الله ما هو أوسع من
ذلك..

قال هرم: أما أنا، فقد وددت لو أنى شجرة من هذا الشجر، تأكسى
هذه الراحلة، ثم تقذهى بعراء ولا أكاد الحساب يوم القيامة.
ويحك يا ابن عامر.. إني أخاف الد هية الكبرى!!
فهدن رجلان من الأبرر يختلفاندهما انفسى فمزع
أحدهما إلى الرجاء فى رحمة الله نزوعا لا ينسبه أبدا مشاعر التوقير
لحساب الله وسزع الآخر إلى الخوف الشديد من الله، ودون أن يسى
أيض أن الله كتب على نفسه الرحمة.

ولكهم مع فى هذا التباين لم يذهب بعيدا عن كتاب الله ولا عن
سنة رسوله ولا عن العلم، لحق اذى منه ينهلون.
فمفهمهم مختلف، ولكه فى الحقيقة متفق ومتعدد، ولكه فى
الحقيقة واحد.

يقول "داود بن أبى هند الفارى":
*إذا أخذت بالذى أجمعوا عليه، لم
يضررك الذى اختلفوا فيه"..
وهى قعدة ذهبية لا تهدى سورها السائر فقط فى دروب "أهل الله"

والمخر عذب عندهم بن هي كذبت "وصفه" برعه في محال الفقه،
وعدم الفقه. هذا العالم الممتليء بوجهات نظر لا تؤذن بشيء!!.

ولأنهم أوتوا نعمة "لهم" عن الله عز وجل، فقد همقوا على كل
المذاهب الكلامية التي لم يحرح الحدب منها بطائن عبر مئات السنين.
فمسألة "المدر" مثلاً، ماذا خرج به لعقل الإنساني حلال معارك
الجدل والكلام التي استمرت قروناً، ولا يزال؟ - لا شيء أبداً

ما أولئك الذين يطالعون قلب الأشياء، فقد فهموا روح
النصوص التي تناولت المدر في القرآن وفي السنة.. فهموا روح النص،
وسمعوا نصه الوثيق، وعبروا عن القصص كلها بكلمات بدهية في
أسر، لكن ليس بموفق. ولا يعني عاءها أي من تلك الفلسفات التي لا
تؤذن حديثها بانتهائها.

بقول المنذر بن مالك :

"ينتهي القدر إلى هذه الآية
﴿إِنْ رَبُّكَ فَاعْلَ﴾ لِمَا يُرِيدُ".

أحر هي فنب هذه الآية الكريمة كل فصيلة المدر، فمن ينظر إليها
كوجه من وجوه الإيمان.. لا كمشكلة من مشكلات كل الفلسفة وموضوع
لاستعراض قدره. لذلك الإنسان عني الجدول والحوار.
فإن يكون الإنسان مسيراً "أو" محيراً "أو" هم معاً فإن ذلك كله
ليس يعني حقيقة أن الإنسان شيء من "شياء" الله وحلق من خلقه. وأن
الأمر كله، والملك كله لله الواحد القهار، وأن عظم محبوباته سواء
كان لإنسان أو غيره بعض "حيثما لا يريد، ويريد" أحب ما لا

يستطيع أن يفعل

أما الله، فهو - وحده - الفعل لما يريد!!

أجل، صدق "المذري بن مالك" وصدق معه أهل الله العارفون،

فبعد هذه الآية الكريمة ينتهي لهدر وعندها بدأ لهم لصحح
لقضيه.

فليبدأ أهل الأرض جميع كل جهودهم لإشقاء، سار يريد الله
إسعاده، فالنتيجة معروفة ولا شك فيها، تؤكد الآية الفاصلة ﴿إِنْ رِئَاكَ
فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾!!

وليسذل الطب كن معمرانه لإتقاد حياة من الموت، قد جاء عند
الله أحبها. فلمصير معروف ﴿إِنْ رِئَاكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾!!.

هذا هو الذي يعنى المؤمنين فهمه من القدر. بل وهذه هي روح
قضية هدر أدركها الذين "فهموا" عن الله، والذين أوتوا "لبصيرة"
التي تمتد في مثل لمح البصر إلى "قلب لأشياء" وليس إلى أشكالها
الباهتة

وهذا الفهم عن الله، أفاء على "أهل الله" تلك النعمة التي
تخصصوا فيها وعرفوا بها - نعمة الزهد والورع
لقد كان موقفهم من مناعم الحياة، من ومن ضرورتها مثار العجب
والحديث الطويل من الذين عتوا بدرسه تاريخهم.
وتقد بهروا الدنيا بطريقة استغنائهم عنها ورهدهم فيها.

لقد كانوا يرفعون أبصارهم نحو أمسهم القريب فيرون طرفة كبيرة

من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قد أجادوا
 من الزهد في الدنيا و لترفع عن إعرائها، فصمموا على أن ينعوهم على
 نفس الطريق.
 بقول "الحسن البصري"

"والله، لقد أدركت سبعين بدرًا - ممن
 شهدوا غزوة بدر - أكثر لباسهم الصوف.
 لو رأيتموهم لقلت: مجانين، ولو رأيكم
 خيارهم: لقالوا: ما هؤلاء من حلاق، ولو
 رأوا شراركم، لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم
 الحساب.

ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون
 على أحدهم من التراب تحت قدميه.
 يمسى أحدهم، ومسد يملكه لا يفتقد.
 كفاً، فيقول: لا أجعل كل هذا في
 بطني، والله لأجعلن بعضه لله، ويتصدق
 ببعضه.. وهو، فيه محتاج!"

و أصحاب رسول الله و "أهل الله" من بعدهم معدورون في
 فرعهم الشديد من لذي . فطالما أنصوا للفرار الكرم يحذر منها
 وينعنها بدار لغرور.. ثم إن سيرة سبهم عبه الصلاة والسلام أمامهم
 ربهم كف كان يقصى لشهرس والثلاثة لا نوقد في سبه در تطهو طعاما
 وكيف كان يسم على حشيه من يوف . وكيف كان بعد أن فتحت عليهم

الديب وكثرت معانها بحرم نفسه وأحب الدس إليه "قطعة" بته وأهل
بيته الأقرس من كل نعم مكنها به - له ولأهل بيته - بالشظف
والكفافة

ولقد كان في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كدلت من سم
يحرم نفسه من طيات الحية ف دام يؤدي حق الله فيها ، ومدا من لا
تلهيهم عن ذكره وعبادته

ولقد ورث أهل الله كلا الانجاس، وأصفي كس فربو عسى
تجاهه روح فلسفته وتفكيره.

سد أنهم جميعا متصفون على ضرورة احذر منها ، وعدم الثقة بها ،
فوظيفتها لحقيقته عندهم - بها المكان والرمز الداء منحهما العبد
الصالح، ليهيئ من حلالهما لنفسه عداً أبداً خالداً وصالحاً عند الله
رب العالمين.

أما ما وراء ذلك، فهي أكذوبة كبرى.. أو هي عسى أحسن لعروض
والأوصاف:

"يقين لا شك فيه أشبه بشك لا يقين
فيه"

وهم يحادرونها ، لأنها في حقيقها عرور
يقول أبو حارم

"ما مضى من الدنيا حلم، وما بقى منها
أمانى"

ويمقتونها لأنها فتنة كس تافه، وبهيمة، وجشع

أحد "مسروق بن عبد الرحمن" ابن أح له وصعد به كومه عالية
 كن الناس يحدون منها منقى لكاسنهم وريالهم ولما ارتقاها قل له:
 "ها هي ذى دنياهم تحت أقدامنا
 أكنوها فأفتموها، ولبسوها فأبلوها،
 وركبوها فأنصوها، وسفكوا من أجها
 دماءهم، وستمحو فيها محارمهم،
 وقطعوا فيها أرحامهم"!!

أجن إن المافسة حوبها، قالة وعير شريفة، والإنسان في دحمه
 المجنون يدوس أخاه ويسحق رفيقه كي يصل فيه ويأخذ أكثر منه!
 يقوب: "أبو حازم" متهمكما وساحر:

"لا تكاد تمد يدك لشيء منه - أي
 لدنيا - لا وجدت آخرين قد سبقوك
 إليه"!!

ويصف "شميط بن عجلان" عشاقها فيقول:

"حيارى، سكارى، عشوها ولميعطموها
 أنفسهم عن رضاها.

إذا أحدث الله لأحدهم نعمة تمطى ربه
 وسمعة، ونادى فى الناس: أن تعالوا،
 وانظروا ..

دائم البطننة قيل الفطنة يقول: متى أصبح
 فأكل وأشرب وألهو وألعب، ومتى أمسى
 فأنام .. جيفة بالليل .. بطل بالنهر"!!

ولقد تفرغ "أهل الله" لعبادة الله سبحانه. فكيف يشغلون ظهورهم
وبو بالمناعم والطيبات.. وأنى يكون لهم في عمر مرصاه الله شغل؟
وقع حريق كبير بالبصرة ذات يوم، وعصف لهع بالأساس.. أما
"مالك بن دينار" فقد أخذ بطرف ردائه ومشى في شوارعها لا يلوى على
شيء وهو يقول:

"هك أصحاب الأثقال"

وهو رمز جميل وصادق للذين يستكثرون من الدنيا بغرف فاعة أو
تعف، ويسون أن يكل كثير شوائعه وهمومه وثمره الفادح وأحانا
المهين.

وعندهم أن من دلائل العصمة التي يهها لله عباده الصديقين، أن
تصن عنهم الدب بحاجاتها.. وبتعير أصدق وأصح، بصون هم على
الدب برغباتهم فيها ومنها.
يقول "إبراهيم الخفي".

"إن من العصمة أن تطلب لشيء من
الدب فلا تجده"

هذا، لمن يطلبون.. أما "أهل الله" فبما شهدنا ساجات الدب
صراع، لجة برة يجرى بينهم وبينها.. هي تريد هم، ويطارد هم بكل ما فيها
من بهر وعرء.. وهم بسودونهم عن ورعهم وديهم وتقواهم ومصيرهم
المدحور لهم عند الله بكل ما في عزهم نهم الشاهفة من تأمن وعمهوان.
وإنهم ليرددون كلمات أح لهم كبير، هو "أويس القرني" في غطة
وحيور

"إن بين أيدينا عقبة كئود، لا يجاوزها
لا كل ضامر ومُخَفٍّ، فأخفُّ يرحمك
الله!"

إن "أهل الله" لا يكون عبي دنيا.. ويرون في ترك الحرص عليها
والعدو وراءها بصرف يدها، ومطّبق مع أي حد بات الإيمان.
يقول "أبو حازم":

"وجدت الدنيا شيئين.. شيئا لي وشيئا
لغيري
فأما لدى لغيري، فسو طلبته بكل حيل
الأرض ما وصيت إليه
وكذلك، لذى لي، لن يستطيع أحد أن
يناله مني"

هي إذن عندهم لا يحدى معها احرص حتى لو أرادها، لحرص،
لأن الأدر في فيها مبدرة، ولا سسر لك إلى ما قسم لغيرك.. وكذلك لا
سبل لغيرك إلى ما قسم لك.
من أجل هذا كان اامتعلولون به في عذاب من وجده، ومن
فقد.

يقول "شميط بن عجلان":

"أثنان معذبان في الدنيا..
رجل أعطى الدنيا، فهو مشغول به، وفقير
رويب عنه، فتمسه فتقطع عليها حسرات.."

وبعود "أبو حازم" يقول:

"نعمه الله فما روى عنى من الدنيا، لا
تقل عن نعمته على فيما أعطنى منها، إنى
رأيت أعطاه قوماً، فهلكوا"

ورأى أبى حرم "هذا يكاد يمشى مستقى الاتجاهات جميع حول
موقف "أهل الله" من الدب . فكى ما يبالهمن من حلاله نعمه، وكل م م
بنوا نعمه لا نفس فى استحقاقه الشكر عن النعمة الأولى، ثم هم إذا
حبروا بين الإكثار منها والإقلال فيها، اختاروا الإقلال، لأنهم لم
يحدوا له صرعى . بينما صرعى الإكثار كثيرون!! وإبهم ليستون أنظار
النس . لى . حدى حقائق الدنيا، ليقن تهالكهم عليها .
نقول "أبو حازم" .

"ما فى الدنيا شىء يسرك، إلا وأصق به
شىء يسوءك" .

ألا إن كى إنسان قادر على أن يحصى مذهب اسواهد من حياته
ومن حياة الناس على صدق هذه الحكمة .

وذر فطلب المريد من الدنيا حماقة، لأنها فى نفس وقت تمثل
مزيذا من امتاعب والسوء .

من أجل هذا يرى "أهل الله" فى الدين أبو نعمة القناعة و لرهه
المسوك الحقيقين فى الدنيا
يقول "مالك بن دينار" .

"كن ملكا فى الدنيا والآخرة ...
ارهد فى الدنيا ، تكن كذلك"

ويقول "محمد بن كعب القرظي" :

"أشقى الناس بها أرغبتهم فيها،
وأسعدهم بها أزهدهم فيها..

هي المعذبة لمن أطاعها، المهلكة لمن
اتبعها، الفادرة بمن انقاد لها..

زيادتها نقصان.. وأيامها دول" !

* * *

ولماذا يحرص "أهل الله" على الدنيا ؟..

أمن أجل أن يكونوا أثرياء ؟..

ها هم أولاء يتحدثون على لسان أحدهم "مسروق بس عبد
الرحمن" :

"نبي لأسعد ما أكون حالا حين يقول

الحادم : ليس في لبيت قفيز ولا درهم ..

أم لكى يتركوا ثروة لأبنائهم ودريائهم ؟..

ها هو ذ "إبراهيم السحى" يحيته أكثر من عشرين ألف درهم،

فتصدق بها جميعا . فيقال له: بو دخرت منها بولدك فيقول:

"لقد ادخرتها لنفسى وادخرت الله

لولدى" !!

ولقد ستجيب الله لحسن ظنه به وبقيته فلم يكن فى الناس يومئذ

أكثر ثراء ومساعدة من أولادهم..

أم يريدونها ستعوا بها الحاجة ويستعينوا بها على طاعة الله؟.

أجن.. ه لا غير يدكرون حاجتهم إلى انديب . أو على الأصح
علافتهم بالديب.. فهم لا يريدون منها سوى لقيمات تقمى الصلب..
وثوب بستر الحسد.. وهو قدر لا يجعل لنديب أى ذكر فى تفكيرهم، ولا
فى أعلامهم.

ثم إن نعم انديبا لا تمثل فقط فى الماء ولا فى أطيب الطعام
والشراب واللباس..

إن نعم الله على الناس لأجل من أن تحصى وتحمد. وإذا كان
حمقاً وطمعاً وجهلماً يسرع عا تلك النعم، فلم نعد نراها إلا فى مائدة
عمره، أو ثياب فاحره، أو جيوب ممتلحه بالأموال، فإن "أهل الله" يرون
هذه النعم بملأ وجودها وحياتها، وبإدى العين التى ترى. ولأذن انسى
تسمع.. والقبب الذى يعقه.

هذا "يونس بن عبيد" يقصده رجل شاك فقره وحاجه، فسأله
يونس .

- "أيسرك أن يذهب بصرك وتعطى مائة ألف" ؟

يقول الرجل : لا .

- "أيسرك أن يذهب سمعك، وتعطى مائة ألف" ؟

يقول الرجل : لا ..

- "أيسرك أن تذهب يداك ورجلاك وتعطى مائة ألف" ؟

- "أيسرك أن يذهب عقلك ولسانك وتعطى مائة ألف" ؟

يقول الرجل : لا...

وما ضحك "يونس" وقال للرجل.

- "أنظر - إذن - كم معك من مائت لألوف وأنت نشكو الحاجة" !!

بعض الناس يرون في مثل هذه الكلمات مجرد عراء، وبهم
لمس كنز وهموم.. فهذا الذي قاله "يونس بن عبد" هو عيسى لهيفه
ولباب اليفين

فالعروة نعمه.. بن هي ثروه.. بن هي رصد فعلى ومادى كهذا الذي
يودعه الأثرياء في المصروف والبوك أو كنز.. فمأذ لا يرى هذه
النعمة أبدا.. ولا يشكر الله عليها نحن لعافين لحدس؟.

هل نعم الحياة هي المال فقط؟ والمصعب فقط.. والحاء فقط؟..
إذن فنحن لا نراها.. لا من حلال جهلنا وصغارنا!!..

أجل.. لا نراها إلا مالا ومصبا، وجها، لأن هذه، لثلاثة هي التي
تشح لمرورنا ولهوان موسى وعبدنا أن تستحسر ونختال، طمعه أن
تخرق الأرض أو تبغ الجبل طولا!!

لذلك نرى "أهل الله" بموقفهم من الدب ومن المال، ويردركهم
لمصيء اساهر لهذه القصية كلها يرسمون فوق كل مسويب الدكء
الإنساني ويعتقون الحقيقة في صب النهار

* * *

بهم يريدون للناس أن يكونوا أحياء لدي لا ضحاياهم وماده
المال لا عبده..

والسبل لذلك.. أن بأخذوا المار من حبه.. ويفقوه في حله،
وأن يقع كي بما بكفه، ولا بطمح إلى ما بطعيه
يقول "ميمون بن مهران":

"لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب
نفسه أشد مما يحاسب شريكه.. وحتى

يعلم من أين مطعمه، وملبسه، ومشربه -
من حلال ذلك أم من حرام ..

ولكى يعيش الإنسان على الحلال طمأنينة، لابد أن يبتعد لا عن
الحرام .. بل عن تخوم الحلال المجاورة للحرام ..
يقول "ميمون بن مهران" أيضا:

"لا يسلم الحلال لأحد، حتى يجعل بينه
وبين الحرام حاجزا من الحلال" ..

كلمات تفجر ذكاء وتورا وتصفى أمام "الورع" وجهه لوجه
فكثرا ما يحسب أن الورع ترف في المصائل لا، إن "هل الله"
يعموم أنه ضرورة "لا ترف، فأنت لا تنوفى الدار بحجر لسان نفسها،
بل بحاجز من الأرض بعيد عنها وكذلك يمال الحرام لا سوقى إلا
بجرء كبير من لحلال يحول بك ويس موافقة الحرام، وهذا هو
"ورع".

والورع عندهم أمر ووضوح وسير ..
يقول يونس بن عبيد :

"لا شيء أيسر على من الورع
إذ رابى بشيء تركته"

إنه يشير بهذا إلى ما عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"دع ما يربك، إلى ما لا يربك"

فعندما سمع أن أحد أولئك الأبرار رفض مشلا أن يسد جوعه
بواحدة من السم أسفطها لريح على الأرض، لأن صاحب الحظ لم
يأذن به، فلا سمي هذا بجهلنا ما تعودنا أن سممه .. بل بصفه ببعه

لحقيقى، وهو الورع

إن "أهل الله" يقيسون الأمور بالحلوس اسهائى بها، ولصانع هذا

السأ

يقول "مالك بن دينار" :

"خرج جابر بن زيد - وهو من إخوان

مالك فى الله - يوما فمر بحديقة،

فاحتوشته كلايها، فأخذ قصبة من حائط

وجعل يطرد بها الكلاب، ولما وصل داره

قال لأهله، احتفظوا بهذه، بقصبة حتى

أردما غدا إلى مكنتها.

فقالوا: سبحان الله يا أبا لشعء، م

يبلغ لأمر بقصبة؟..

فقال: لو أن كل من مر بهذا، لحائط أحد

منه قصبة ما بقى منه شىء" !.

وهكذا، سم بكن ورعهم سد جه، بن كان حكمه وعمق نمكير.. كان

"أبو حازم سلمة بن دينار" يقول.

"قد رضيت من أحدكم أن يحافظ على

دينه، كما يحافظ على عليه"!!.

فبحر فى انطريق نوقى الوحى ونعمده حتى لا يصيب نعال

وإذا أصبى سم يصبر على بلوئى، بل نساوع إلى نظمى ويلمعها.. ألا

ما أوجع كلمه "أبى حازم" ؟ إن لها لمثل وحز السهام!!.

إن اتقاهم لحلال إدد لم يكن نصرف بس كن ضرورة حتى لا
يواقعوا الحرام.. لا سيد حين يمشو الكسب الحرام ويملا الجيوب
والبطون.
يقول "شقيق بن سلمة"

"ن أهل بيت يضعون على مائدتهم
رغيفا حلالا، لأهل بيت غرباء" ..

و لورع عندهم ليس قصيه محسب.. بن واجبا مفروض لأن معاه
لا سيد عند - فساد لذمم ترك الكسب الحرام، فهل ترك الكسب
الحرام ذلة؟

إبه واجب ويزام.. ولو أن كل سنان باحد حقه لا غير، ويرك
للآخرين حقوقهم، لتاه لفر في زحام الكدبه و يعنى.
يقول "ممنون بن مهران :

"لو تعاهد كل إنسان كسبه، فلم يأخذ
إلا طيب . ثم أدى حق الله فيه ما احتيج
إلى الأغنياء، ولا احتاج الفقراء" ..

ففسفتهم الحكيمه واعمقة عن المال والثروة يضع كل عبيها
على إسانية الإنسان - هذه السى لا يستعبد لها شيء كما يستعبد لها
المال - رغبة فيه.. وتهالكها دونه، وحرصا عليه.

ونسانية الإنسان تنصر في معركتها مع الماد في نظير "أهل الله"
إذ سعى الإنسان إله برفق وأمانة وشرف، وأدى حق الله فيه لدوى
القريبى ولفقراء والمساكين، وأسهم به فى إرباء المصلحة لاجتماعه

وإسعاد الناس . وبعد ذلك فسنعم ذو المال بماله في غير سرف ولا محيلة.

قبل أن أم لك من ديار " إنك تعلق على الناس في طعمهم ولباسهم فقال:

"اكتسبوا حلالاً.. ثم البسوا ما شئتم"

ويقول "يونس بن عبيد" :

"إنما هما درهمان:

• درهمٌ أمسكت عنه حتى طاب
فأخذته.

• ودرهمٌ وجب فيه حق الله، فأدبته"

إن حرصهم لشديد على أن يحىء المأمن من حلال، فلا تنهاب ولا اخلاس، ولا سرقه، ولا عش، ولا حنبل ثم ينفق في حلال يادنا بحقوق الله فيه التي لن ينال الله منها شيئاً، إنما يذهب بمعها للمحتاجين ويبقى ثوابها للمنفقين.

ثم لا تكون - أي الأموال - أداة لسرف والترف، لأن الله لا يحب المترفين ولا المترفين.. كما لا يكون محرصاً على اشح، لأن الله يمهت لبخلاء الأشحاء.

يقول "ميمون بن مهران" :

"في المال ثلاثة حقوق، إن نجا صاحبه
من واحد، خيف عليه من اثنين، وإن نجا
من اثنين، خيف عليه من الثالث.

أن يكون طيباً . فأياكم الذي يسلم كسبه
من حرام أو شبهة؟

وأن يؤدي حق الله فيه.

وأن ينفق في قصد، فلا سرف ولا
تقتير"!!..

ولكي نبقي "إسانيه الإنسان لا بد أن يكون سعيد للمال - كم
فلنا - سعيداً رقيقاً، وأن نكون وسائلنا كريمة شريفة.
وديك لا ينسر إلا لمن راض بنفسه على لقاءه، وزاها بالنورع
وأدرت.. كما سمعنا - لأهل الله من من أن كن كثره في المال وربه في
الدنيا، بما تحمل معها كثرة في . لهما، وربه في المحاطر
هذا في دينا . لناس الفاسة. أما يوم القيمة فالحساب شديد
والعقبة كثود.

من أجل هذا يرفص "أهل الله أن يكون ضحايا للكثير
يقول "يزيد التيمي" :

"قدمت البصرة، فربحت فيها عشرين ألفاً
فما اكرثت بها.. وما أريد أن أعود
إليها بعد أن سمعت أبا ذر يقول: إن
صاحب الدرهم يوم القيمة، أخف
حساباً من صاحب الدرهمين" !!.

هذا مثال حرباه من بين عشرات الأمثلة والمواقف، لأن صاحبه
لم يكن فقيراً، فهو يتعري عن فقره. بل هو تاجر ناجح، كسب في رحله

و حدة عشرين ألفاً، فما اُكثرت لها، ولا بطر بها .

بل لقد نُثرت في نفسه الحيس إلى اريح الليل المواضع .

لأن صاحب ، لدرهم، أحف حساباً يوم القامة من صاحب

، لدرهمين.. وصاحب الدرهمين، أحف حساباً من صاحب الثلاثة..

من أجل هدا، كنُشد ما يحدون على أساس بها لكهم عسى

المال. يقول "شميط بن عجلان" .

"قد أعطيت ما يكفيك وأنت تطمب ف

يطغيك!"

و "أهل الله" لا يكثرثون بالمال، لأنهم لا يحشون الفاقة

أولاً؛ لأن إيمانهم بالله الحلو الرراق يملأ أفئدتهم بالنفيس..

ثانياً؛ لأن حاجاتهم في الحياة يغطيها أقل شيء

سئل "حسان بن أبي سنان"

"أما تحدثك نفسك بحوف الفاقة؟"

فقال: نعم..

قبل: فبأي شيء تردّها؟

قل: أقول لها: لو أصابتك الفاقة غداً،

فستأخذين المسحاة، وتعممين مع الفعلة،

فتكسين دانقاً أو دانقين تعيشين بهما..

ثم تعملين وتعيشين.. وتعممين وتعيشين..

فتسكن وتهداً."

هذا "معلم" يعلمنا ألا نصح على أغصان أبواب الحياة فلا نجد

بعد ذلك مهم يزد ثراؤنا، ما يشبع طمعنا وطموحنا يعلمنا ألا نسسى

لهلع النفس الحائنة المسعورة التي تحملق دئماً لا في الكفاية بس في
المزيد، تلو المزيد..

و "أهل الله" بهذا لا يكرهون لبس الثراء المشرع ولا الرفاهية
الشكوة.

يقول "عمرو القارئ" :

"كانوا يعدون الغنى والسعة عوناً على
الدين"
ويقول "إبراهيم النخعي" :

"من حسن الله صورته، ووسع رزقه، وبوأه
مصعباً صالحاً.. ثم أدى حق الله في كل
هذا وتواضع، كان من خاصة أهل الله"

أرايتم ؟...

هنا هيئة جميلة، ورزق واسع، ومصعب مبعوثاً . ومع ذلك فإن
صاحب هذا كله لبس مقبولا فحسب، بل ومن خاصة أهل الله . لأنه
عرف كيف يشكر ربه ويتواضع لعبده..
ومكدا يقول "أبو قلابة" :

"لن تضرك دنيا، أديت شكرها لله عز وجل"

بل لنظر هذه الواقعة لمعرفة:

رأى أبو قلابة أحد أصحابه يشري تمرا رديئا، فقال له:

"لقد كنت أظن أن الله نعمك

بمجالسنا.. أما عمت أن الله نزع من كل
ردىء بركتته؟!

أعذك أدكى وأبهى من هذه لكلمات في هد المدم، يقولها رجل
متصوف راهد؟!

ها هم أولاء في زهدهم وورعهم، يرفضون الردىء، لأن المؤمن
طيب وهو أحق لناس باطيات.

المشكلة - إذن - هي في علاقتنا بالمال والدنيا.
وتتلون هذه العلاقات وخضوعها لتيارات كثيرة متناقضة تتغير نظرة
"أهل الله" إلى الموضوع وتعدد آراؤهم وتوجهاتهم
وإن لراهم في نظرهم لواقعة للما بذهبون في حس الانتفاع به
مذهب بعيدا.

في هذا "محمد بن كعب القرظي" يقول:
"التدبير نصف المعيشة والتوحد نصف
العقل"

إذن فهم يادكون حتى الادخار والقصد.
ن مع "أهل الله" من العظمة ما يعرفون به ويدركون حاجة الناس
لوسائل العيش والحياة.
فيقول "نافع بن جبير":

"ألك من أهل الدنيا ما دمت فيها.. ولا
غنى لأهل الدنيا عما يصلحهم..
بل لطاع هديس النصب لطلب من أقطابهم هو "سعيد بن المسيب"

رضى الله عنهم أجمعين.

يقول أولاً :

"إن الدنيا نذلة، وهى إلى كل نذل أميل..
وأبذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها
لغير وجهها، ووضعها فى غير سبيلها" !!.

ثم يقول مرة أخرى:

"لا خير فيمن لا يحب هذا المال ليصل به
رحمه، ويؤدى أمانته.. ويستغنى به عن
الناس"

كما كان يشير إلى أمواله ويقول:

"أصون بها دينى وحسبى"

فالدنيا لينة - كم وضعها سعيد - ولتى هى إلى كل نذل أميل.
إنما نكون كذلك وفق العرض لدى بنوخه منها والحافر لدى بدعها
ويسوق إليها، ووفق الوسيه التى توصل بها

وهكذا نراها فى صورتها الأخرى ليست ندلة ولا إلى كل نذل
أميل بل هى فرصة المؤمن لصحة الطيبه، نرى يوم معاده وحسن مآله،
فما الذى غير الصورة؟ إنه نوع العلاقة التى تربط الإنسان بدينه..

وهكذا لم يعد المال وسيلة تستخدمها فى نأفك وصجر بل هو
عون صالح بحب، شريطة أن يكون فى مصادره، وفى مصارفه، وفى
مسيرته كلها كما قال "أهل الله" مما فصلناه خلال، لصفحات السالمة -

من خلال طيب يحىء .. وفى خلال طيب ينفق - لا تنه لك على جمعه
ولا نحل به أو تسرف فيه. ثم نترك لعيرب حقه فيه، فلا يأخذ منه فوق

كفانت .

على أن "أهدى الله" حين يكون الأمر منعف بهم، والمصير
مصيرهم، فإنهم لا يريدون من الدب، لا مثل حسو الطائر
إن الدب - دلب المسرح العريض لكل رعبت البس وشهو بهم
وظموحهم، واجتماعهم وانفصاضهم.. لدب بكل أسواقها لهئجه
ومهرجانه المائحه، لا نعهم ولا ينبغي لهم أن يحسوا لها وجودا.
وهم يدفعون ثمن ذلك من رهدهم وجهادهم وإحباطهم، والعشر
مع شظفها، والتدثر بالحرمان منها
يقول "جعفر الصادق"

"نم الدنيا للعارفين كفىء الظلال".

اندبا كلها مهما بطل لعمر فيها - كلحظت لظن النسي نصيبها
المسافر نحت أفتان شجرة ثم بمصسى.. فلم دا يشعون إذن بأموالها
ومتعها وفئتتها وأهوائها؟!

إنها فرصتهم لطاعة الله، ولتقديم لصالحات الباب النسي
سحيون فيها إلى جوار الله، وفي فردوسه الأعلى خالدين محبدين
أما بعد ذلك، فلا تعرفهم اندبا ولا يعرفونها.

يقول "إبراهيم التيمي":

"تمثلت نفسي في النار، أعالج أعلالها
وسعيرها وآكل من زقومها، وأشرب من
غسلينها.. فقلت يا نفسي: أي شيء
شبهين؟ قال: أرجع إلى الدنيا فأعمل

عملا أنجو به من هذا العذاب..

ثم تمثنتها في الجنة مع حورها - أليس
من سدسها، وإستبرقها، وحريرها، فقلت
يا نفسي: أي شيء تشتهين؟ قالت: أرجع
إلى الدنيا، فأعمل عملا أزداد به من هذا
النعيم..

فقلت لها: ها أنت في الدنيا
فاعملي..

إنهم يرفضون أن يكون للدنيا في قلوبهم مكان. بل وفي إحساسهم
- مجرد الإحساس

فسلامتهم من إغرائها لا تتمش فقط في ارهد فيها والاسغفء
عنها، بل وفي فقدان الشعور بوجوده.
يقول "أبو الأبيض":

"أعلم أنك لن تسلم من الدنيا، حتى
لا تبالي مَنْ أكلها من أحمر أو أسود"

إنهم ليسوا أتقياء وحسب، بإيقائهم الدنيا بعيدا منهم، بل أذكباء
أيضا..

فأمامهم آلاف من، لمشاهد وأصوار، ليس كتب الدنيا معهم
بالأوس يضمخهم بعطرها، ونعرفهم بخيرها، ووحاه يوسف عنهم، سي
غيرهم، وغدا إلى "آخرين.. وبعد غد إلى سواهم.
يقول "محمد البافر":

"الدنيا مثل مال أصبته في منامك، فلما

استيقظت لم تجد معك منه شيئاً ..

فماذا سخذ عور لها، ويعيشون منوقعين صربتها ومما جآ لها؟
حسبهم منها مالا يُحلف فقداؤه الحسرة والعذاب.

وليضحكوا مع "جابر بن زيد" وهو يحكي غبطة روحه فثلا وكأه
يشمت في الدنيا لئن لم تستطع اصطياده:

"ما أملك من دياركم، لا نعلين قديمين
وحماراً" !!

ولضحكوا كذلك في عبطة مع "الحجاج بن القرافصة الباهلي"
الذي يف في السوق عند أصحاب الفكة، فيسأل ما نصنع؟ فنقول
مشيرا إلى الماكه:

"أنظرُ إلى هذه المقطوعة الممنوعة"

مشيرا بذلك إلى فاكهه احبة انى أعدها لله لمنقش من عباده،
والتي وصفها القرآن الكريم قتل:

﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾

* * *

على أن لأهل الله صرفا آخر يصرفهم عن الدنيا بقرة ولا يمكن
له دفعا - ذلكم هو الموت..

أجل . لموت الذي يعرى الذنب من كل ريفها، ويضع الإنسان
وجهه لوجه أمام مصيره هي أبد لا يقى ولا يزول . ينتظره فيه نعيم مقيم..
أو عذاب عظيم!!

هت ، لا تنسون من الدنيا مناعها فحسب، ولا وجوده فحسب، بل
يسون اسمها . وهنا لا خيار أبدا ولا ينبغي أن يكون ثم حبار، حين

تكون المفاصل بين ذلك الشيء الصغير اصنبل الدقة الذي يسمى الدياء وبين الآخرة.

- فاموت في آدابهم وفي روعهم بدر صبح أن اسعدوا للرجل إلى أين؟.. إلى دار يحسون فيها حالدين، حيث العم لحالد للمتقين.. والمحب الماحق للمسدين
- وما هذه الدار لى نحن فيها، ذن؟. هي الدب ألا تذكركم اسمها خفيقتها؟ هي دار دنية نفصون فيها أعمرا كأنها لحظت
- ولماذا جئها إذن؟ ليسوكم ربكم أيكم أحسن عملا !!
- دن فعلى هذه الدب نعاء وذن لن بمحها "أهل الله" حقه واحدة من قلوبهم، ولا بسمه صاحكه من شفهم وبالتالى فهم لا يريدون من متعه ولا من ربها شد - أى شيء - ولنها رباح السحر لتحمل منهم تسيح المسحين، وأسأل الكين، وصراعه الضرعين، وأفس شوقهم المشاق إلى نعاء الله ورضوانه
- هكذا رابناهم يشمون فى كل مظهر الدب رائحة الموت، هذا "يريد الرقاشى" يقول:

"إن سرك أن تنظر إلى الدنيا بما فيها من ذهب وزينة، فسلم أخبرك..
شيع جدره ميت، فهذه هي الدنيا بكل ذهبها وزينتها..

واحمل لقبر دوما معك.. لا أقول: احمل تربته.. بل احمل فكرته."

يا لروعة التفكير والتعبير يا شيخنا يزيد!!

ألا، فسعد تلاوة عارنه . لحكمة مره أخرى
 "واحمل القبر دوما معك.. لا أقول:
 حمل تربته.. بن حمل فكرته" ..

إنهم بهذا المعنى عاشوا يحمسون قبورهم في كل رب و كل
 مكان. عاشوا يحمسون "فكرة الصرو" "فكرة" لموب، وكن هذا لذى
 يحملون أعظم ح جر دفع عنهم طوفان الحيه لذب، وأحاله بحب
 أقدامهم إلى فقاقع!..

يقول إبراهيم البخعي :

"ما من أحد ينزل الموت حق منزلته إلا
 عد غدا ليس من أجله..

كم من مستفس يوما، لا يمكنه . وراج
 غدا، لا يبلغه..

ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبعضتم
 الأمل وغروره!!

وهكذا رأياهم يعرفون عن كل عمارة نحصهم في الدنيا وكلها
 دعوا إلى ذلك قالوا، كما قال سليمان التيمي :

"الأمر أعجل من هذا.. فالموت غدا!"

وهم يادون المؤمنين كفه ألا يدعوا الدنيا بسسهم الآخرة..
 وأولئك، الذين يغترون من طب بها المبحه المشروعه، أحق من غيرهم
 بهذا النذير، لأن السهم كثيرا ما تنسى!!

يقول إبراهيم التيمي :

"إن من كانوا قبكم فروا من الدنيا وهي

مقبلة عليهم، وإن معهم من التقوى يومئذ
ما معهم، وأنتم اليوم تنعون الدنيا،
وهي مدبرة عنكم وإن معكم من الخطايا
ما معكم" !!

هذا نذير قليل للس من ألف عام. ترى ماذا يقال لنا اليوم وأين
مكائنا من لفاقلة المردحمة بألف من الأعوام؟ أ.
كذلك يقول إبراهيم النخعي :

"إن الصالحين قبلكم، كانوا يجعلون
للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم
تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم"

* * *

و "أهل الله" دن بتخصهم لدنيا إلى الأخرة ليسو سذجا ولا
محدوعين.. إنما هم أدكى الدمن قاطنة، ذاء كانت المسألة مفصلة بين
ريح وحسب. فأربح الدنيا وهمية مهما تشامخ طولاً وعرضا. لأنها
عاجنة، ومتقبلة، ثم نهايتها موت بفضى إلى حساب وعذاب.
أما ربح الآخرة، فهو ايقين الذى لا يفس مثله، وهو لربح حق.
وكل شىء فى الدن يتركه لإنسان خوف العتة أو الاشغال به عن
طاعة ربه، مياأخذ أحسن منه مضاعفا يوم الحلود.
يقول الشعبي :

"ما ترك أحد فى الدنيا شيئا، إلا أعطاه
الله فى الآخرة خيرا منه" ..

بل إن للفقراء موكبهم فى الجنة.. ولهم فى الآخرة ثواب ينواعم

مع، لفقير الذى خناروه فى دنياهم طائعين، أو ررثوا به ففصروا عليه، بر
تقبّلوه شاكرين..

يقول "إبراهيم الخصى".

"يدخّر المقراء الجنة قبل الأعياء..
مثّلهم فى ذلك كمثّل سفينتين تمخران
البحر..

مرت لأوى، وليس فيها شىء من متاع،
فقال الآذن بالعبور: خلوا سبيلها..

ومرت الأخرى مثقلة موقرة، فقال:
احبسوها، حتى ننظر الذى فيها" !!

مثل برع.. وكم كانوا بارعين فى ضرب الأمثال يعلمون بها

الناس.

* * *

وعكذا لم تكن علاقتهم بالموت علاقة خوف ورهبة، أكثر مما هى
علاقة إيلاف ومحبة

ذلك أن الموت عندهم ليس بهبة، إمف هو انتقال من دار إلى
دار.. ومن عالم إلى عالم.. ومن أهل إلى أهل..

هذا "أبو حامد الغزالي" رضى الله عنه يقول:

لا يظن الموت موت إله

لحياة وهو عايت المي

لا برعكم محمة الموت فما

هو، لا انتقار من هنا

إن الناس فى حيّ بهم الدنيا، لا يسرهم أن يتحمدوا عبد مزه

واحدة من منازلها.

فالطبيب في المرحله الثانيه - مثلا - يحد ويجهد ويسدأب لكي ينتقل إلى المرحله لجامعه. وحين يبعده، يبدأ قصارى جهده ينتهي منها، وينتقل إلى ما بعدها في حب الوظيفه والعمل. والموظف في درجه ما يتوق ويتحرق شوقا إلى لدرجه التي فوقه. وبتس جمعا، بل حتى الطيور تبحث دائما عن الحياه الأفضل، وبه حر، لى حيث الرعد والخصب.

هذا تبسيط لحقيقه "أموت .. فم هو، لا الانتفال من هب. كم دل الإمام الغزالي.

من أجل هذا، كان مبعث قلق عظيم لأهل الله وأصحابه، وكان مناط أشواقهم أيضا.

إنهم يندكرون بهاء وعظمه لحياه التي تنتظر المؤمنين بعد معادرتهم هذه الدنيا.. فتطير قلوبهم شوقا إليها.

ثم هم من شدة حشنتهم الله وتوهمهم إياه يحادرون أن تفصر بهم أعمد لهم، فيهربون هذا الانتفال

بد أن الشعور لأكثر سيطرة على روعهم هو لا رب الاطمئنان إلى عفو ربهم ورحمته وبعمه ورضونه.

ومن ثم فهم والموت في صداقة حميمه، يحبونه ويطرون مقدمه في حبور وشوق.

فيل للإمام "أحمد"؛ إن "أنا بعد الخراز" كان يعض وجدا عندما حصرته الوفاة .. فقال:

"ليس بعجيب أن تطير روحه اشتياقا" ||
 بهم أصدقء الموت وعشاقه، مادام الدليل الذي جاء بأخذ

يأيد يدهم إلى مالا عيس رأت، ولا أدن سمعت، ولا حطر على قلب بشر من
معهم الله وعطائه.

يقول "علي بن سهل الأصماني".

"أظنون أني أموت كما يموت الناس؟..

"إنما أدعى.. يقال لي: يا علي، فأجيب" !!

هذا هو الموت عندهم . دعوه من الملأ الأعلى يسارع المؤمن

إلى تلبينه جذلان، نشوان!!

ومن عجب أن "ابن سهل" مات كما نسا.. فذات يوم وهو سير

بين نهر من إخوانه ومريديه . وقف فجأه وصاح: ليلك.. ثم مال على

أكتاف صحبه وفاضت روحه..

أفحبت إدم أن يصحروهم الدسا، وأن يصفوا بها، ويهربوا منها

ويعطلو الرحيل عنها، مادام أمهم ومن ورائها دلت الخلود المعهم

بالمبهج والرضون؟؟!!

تري، ماذا كان موقفهم العمى في الحياة؟ هؤلاء الذين اتحدوا

من الزهد ومن الورع سقيتهم، يبحرون بها إلى لمرافق البعيدة

والسعدة..

من عاشوا. لأنفسهم وحدها، عاكفين عليها، مولين ظهورهم لئلا

ولميت كبهم.. ومحايدين القوى والأوضاع التي تدفع تبار الحياة في

الدوة والمجتمع؟؟

لقد قهر "أهل الله وأولياؤه" الدسا، كما لم يفهرها أحد..

ولقد صاروا ملوكها حفا حينما نددوها وراءهم ظهرها واتحدوها

معبرا، لا مستعبرا

وكن موقفهم من إعراء السلطان وصوله لسلطين آية ما مثلها
آية على عظمة الهج الذي شكر رهدهم في الدنيا، وهدي حطو، نسهم
اراسخة فوق أرضها وبين أهليها.

لمد كابو، يرون أنفسهم وهم في سملهم البالية فوق كل ملوب
الأرض وكبرياءهم. لا صف أو عطرسه بل بوقيرا لعمة الله عليهم
وحفظا لحقها..

إن الله لعلي التقدير قد كرمهم في كتبه أبلغ تكريم.
لطالما صمهم إلى جلاله الأعلى وهو يتحدث عنهم فيقول
سبحانه.

"أوليسائي"

ماذا في الدين وفي ألف ديا مشها، من تجار، وسلطان، وثرء،
وجاه.. لا أقول يعدل، بل يحدث نفسه بالاقتراب من هذ الشرف الأسى
والأسمى..

صحيح أنهم لم يصعوا أنفسهم قط في هذا لمقام من الولاية..
وكانوا يرفضون في قوة كر، طراء لهم بها. وكان إحساسهم الحبش
بجلال الحق سبحانه يحجبهم في أعينهم صلالا لكن رغم هذا كله، فقد
كان تقديسهم للرداء الذي كساهم الله إياه فميا بمسحهم ذلك الشعور
لوائق الذي يصع كل معربات السلطان والمال والدي نجب أقدامهم.
ولم يكن حياؤهم الشديد من الله، وتلاشيهم أمام حلاله ليعير
شيئا من حقيقة أنهم أولبؤه المتقون والمفربون.

إن موقفهم من السلطان ومن الحكام، ملوكا أو ولالة، يد

بالاستغناء المطلق عنهم.. فكل ما بأيديهم من نفوذ، وجاه، ومناصب وأموال، أشياء ودّعها "أهل الله" من زمان بعيد وكتروا عليها تكيرات الموت، ولم يفقدوا الرغبة فيها وحسب.. بل صارت ذات رائحة كريهة تملأ نفوسهم بالغيثان..

بل أكثر من ذلك رأينا الكثير منهم رضى الله عنهم، لا يهرب من الوباء القذر الكسح حين يرل بلدا هم فيه.. بينما أحبار هروهم من المصائب الكبرى التي تُعرض عليهم ومن العطايا التي يرسلها الحد كمون إليهم، بل ومن العودة المحففة التي تعرضها عليهم الأمراء أقرب إل أحبار هروهم من ذلك كله يردحهم بها كتب التاريخ، هم انديس لم يكونو يهربون من الأوبئة لما تكة المحففة.

واسنعناؤهم عن الأمراء وعمما في أيديهم بسمم لنا - كما فسا من قبل - صورة الزهد الذي اختاروه لأنفسهم.
ولنطالع هذا السأ ويطله "صفوان بن سيم".

"قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وأم مسجدها فرأى في زاوية من المسجد رجلا يصلي، فبهره سمته فسأل عنه، فقيل له: إنه صفوان بن سليم.
فأمر نابعه أن يذهب إليه بكيس فيه خمسمائة دينار

ووقف التابع بعطاء الخليفة أمام صفوان وقال له: إن أمير المؤمنين يرسل إليك هذه.

فمجب صفوان وقال له، لقد أخطأت يا
ولدي لست أنا الذي أرسلتك، بيه..
قل، لتابع: أو لست صفوان بن سليم؟ لقد
أشار بيده نحوك وسماك لي باسمك؟
قال صفوان: إذن فاذهب واستوثق منه مرة
أخرى..

وعاد لتابع صوب الحيفة الجالس هناك
في ركن قصي من المسجد.
وعندئذ تسلل صفوان من المسجد،
واختفى من المدينة كلها.. ولم يظهر بها
، لا بعد أن غادرها الخليفة سليمان" II
هذا ما يغنى عن أساء كثيرة، لى أى مدى وبأى
صدق كانوا برفصون "الهدت لمكة" ويهربون منها..
لقد كانوا يرون فى قرع أبواب دوى لسلطان والحكم نقصا فى
الدين لا يكاد يصديه نقصان..

ها هو ذا "جعفر الصادق" رضى الله عنه يقول:
"ألفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتموهم
بقرعون أبواب السلاطين فاتهموهم..
وهذا "مبمون بن مهران يقول: "لا تعرف الأمر ولا تعرف من يعرفه"
وهذا "سعيد بن المسيب" يقول:
"لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا
وقبواكم منكرة حتى لا تحط أعمالكم".

ولكن، لماذا بنوقور لقرب من لحفء والأمرء والورء كل
هء لتوقى، ولماذا يهريون منهم كما لو كانوا دثبا ستحصف منهم
إيمانهم، وتقواهم.

إن "أبا حارم سلمة بن دينار" رضى الله عنه بعضيا لذلك تفسير .
لقد كن "الرهري" إلى حبب صلاحه وتقواه عالما كبير، وفقها
ومحدثا.. وكانت له بين الناس مكانة لعلماء الهداء.. وكن موضع
احترام الحليفه عند لمت بن مروان - وبعد نأله الرهري هءه - بمودة
فكن يزوره ويحضر محاسنه وم بشفع صلاحه ولا حلفه لدى "أبي
حارم" وكن لزهري يحبه، جلالا كبيرا فكن "أبو حازم" إليه بقول
فى رساله مطولة، تقتطف منها هذه الفقرات:

"عافانا الله وإبك أبا بكر من الفتن،
ورحمتك من النار، فقد أصبحت بحال
يبتغى لمن عرفك بها أن يرحمك منها.

لقد أتقنتك نعم الله عليك بما أصبح من
بدنك، وأطال من عمرك، وفقهك فى دينه.
علم أبا بكر أن أدنى ما ارتكبت وأعظم
ما أخطبت، أنك آست الظالم، وسهلت
له طريق المعى، بدوك منه حين أدبت..
وإجابتك له حين دعيت..

لقد جعلوك قطبا تدور رحى بطلهم
عبك، وجسرا يعبرون عليه إلى صلاتهم

وتعللاتهم..

يدخلون بك انشك على العلماء،

ويقتادون بك قلوب العامة، إليهم.

وما تبلغ من نفوسهم مكاسة أحص

وزرائهم وأقوى أعوانهم، لا بقدر ما

تروج لفسادهم، وتسوق لحصة العامة

إليهم..

فما أهون ما عمروا لك، في جنب ما

خربوا عليك..

وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا

منك" !!..

بهذه الكلمات التي نشرح نفسها، ولا تحتاج من الإيضاح لمزيد،

يفسر أبو حزم موقفهم الصارم من صحبة الحكام، بل ومن مجرد

معرفتهم..

تري، هل يمكن لمن هذا موقفه من زيارة السلاطين والولاة أن نقل

ولو نجدع الأنف أن يكون سطو، أو واليا؟

لا ودون ذلك كل ما بين نواجد الهول من آلام.

لقد كانوا يجلدون، ويسجون، وينفون، مؤثرين ذلك كله على

قبول المتصيب، التي يتهالك الحمقى عليها تهالك الذب.

انظروا.. هذا "ميمون بن مهران" يقول:

"وددت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت

الأخرى بها، وأنى لم أتول ولاية قط..

قيل له : ولا لعمر بن عبد العزيز؟

قال: ولا لعمر بن عبد العزيز!!

إنه يادم عني بصعته أدم فصها واليا يمضي على صراط مستقيم،
وبه يؤثر دهاب بصره إلا شعاعه تنقي لسير به طريفه يس دارة
والمسجد، على أن يكون واب.. حتى لعمر بن عبد العزيز.. لدى هو
"عمر بن عبد العزيز" ولا تزيد!!

وهذه صورة أخرى لقديس آخر، بطلها "نوايس شفيق بن سمة"
. يقول المعنى بن عرفان

"كنت مع أبي وئ حين جاء رجل فقال

له: إن ابنك قد عين واليا على اسوى .

فقال: والله، لو جئتنى نبأ موته لكان

أحب إلي. لقد كنت أكره أن يدخل بيتي

من ولى لهم عملا"

ولقد عن أحد أبائه قضا" فقال لحادمه يوصيه. "إذ جاءك

بنى بشيء فلا تقبله منه" !!.

كانوا - رضى الله عنهم أجمعين - سعدبون العذاب فى سس ألا

يطوفوا بمسؤوليات ماصب يعلمون تمام العلم أنهم لن يستطيعوا أن

يرفعوها إلى مستوى ورعهم وتقواهم. ومن ثم حُق لهم أن يشركوه

وينبذوه.

بل - وبا عجباً - لم يكن بعضهم يرى فى هذه التصحية حتى مجرد

فصيله ومثوبه. بن كان ينظر للأثم الذى يزل به عذيب الطغاة تذكرة

ودكرى لعذاب النار يوم القيامة!!.

ولندع الزهري "يفص علب هذا السا عن رب العابدس عسى من
الحسين" عليه وعلى أبيه وأهله صلاة الله وسلامه..

نقد كان "عبد الميث بن مروان" قد استدعه من المدينة إلى
الثام لفهم نحو ره، ورفص فحمله الحرم بلفوة وأهسوه سالحدد
وقبل رحيهم به طلب "لزهري" أن يرويه.. وكبوا يعرفون مكانه عند
الخليفة فأدنوا له.. ولندعه يكمل النأ العحب:

".. دخت عليه وهو في قبة.. والقيود في

رجبيه، و لغل في يديه فبكيك وقب له:
وددت أنى مكانك ولا يصيبك مكروه..

فقال لى: يا زهري.. أظن هذه السلاسل
تُكرُننى؟ أما أنى لو شئت ما كان من ذلك
شىء..

ثم هز يديه فاعرج، الغل.. وهر قدميه
تنفسخ القيد..

وعاد يقول: ولكن دعها تذكرنا عذاب
الله!!

هذا القديس الأعزل، بدخل على عبد الميث بن مروان دت يوم
ويمكث معه لحظات، ثم ينصرف، فيتشمس الحيمة، لصعد، ويقول لمن
حوله.

"والله لقد امنلا قلبي منه خيفة"!!

ولقد كد من أولئك، الأبرار من يرفص تلك الماصب بالحيلة

والدهاء، حتى ينحو من التعذيب الذي يتعرض له الاحرار..
 فهذا "نزد بن مرشد" أراد لو سد بن عبد الملك أن يولييه عملاً..
 ورأى أن قد أحبط به فمادا يصنع؟.. به لا يحتمل عدايتهم ولا
 سجونهم. وفي الحيلة متسع للهروب.
 وهكذا جاء بحلده حروف مذبذبة وكسبه ظهره جاءه علا السجد
 على الظهر و لصوف خرجته. وسار في طرقسات بلا فلسفه ولا علم.
 مطهرا بلحون. حتى تمت أبيع عنه هذه إلى، وليد قولي غيره.
 وبعدها شفى الشيخ من الجور!!

* * *

وفد يكون وجود الأموس على رأس السلطه يومئذ من لأسباب
 القويه برفض لصاحب من عباد الله ولايه الماصب لحاكمه.
 بيد أن ذلك لا يفي أند وجود ذلك العروف بل ذلك الرقص
 بسلطة أبا ما تكن فمه الهرم فيها - أمونه - أم عاسيه
 ألم نسمع من قريب قول قائمهم:
 "... ولا لعمر بن عبد العزيز" ...

ثم لقد كانوا كذلك في غير عصر الأموسين..
 فمادا كان ذلك كذلك؟ وبم عصر ذلك لرفض لمسمر؟؟
 ها هي دي عبارة بصره بعض الشيء، بفوها مكحول الشامي:
 "لأن يضرب عقي، أحب إلى من أن إلى"
 القضاء..
 ولأن إلى القضاء، أحب إلى من بيت
 المال..

فمن روح هذا الرأي الحكم نرى رجلا لا يهرب من المسئولية، وإنما يهرب من احتمال الخطأ فيها.

إنه في القضاء عرصه لأن يحظى في حكم أو تلسس عليه الأمور.. وذلك عبده أمر أهول منه الموت، حتى وهو نعم أن من اجتهد وأخطأ فله أجرا

ويكن إذا لم يكن من، لولاية بد، وكان له الحبار، فالقضاء أحب إليه وأيسر عليه من بيت الماب.

والأمر في هذه المصصة راجع إلى تقديره.. ولدى يعيناها ما يمنه علينا حديثه من تفسير لجزعهم من أن يكونوا ولاية وحكم.

* * *

وهنا سؤال يواجهون به لا محالة، فإذا ترك الصالحون لورعون أمور الحكم، ففي يد من ستسقط؟ في يد الآحرين الذين ليسوا صالحين، ولا ورعين طبعاً، فهل بهذا الموقف يكون "أهل الله" قد خدموا القضية التي يعيشون من أجلها؟

وفي تقديرى أنهم بدى دى بدء لا يرفضون هذا السؤال بحسب، بل ويرفضون الحق في توجيهه.

فكما أن ورعهم ونفواهم لا يؤهلهم - بالضرورة - لأن يكونوا أطباء أو مهندسين مثلاً، فكذلك لا يؤهلهم لأن يكونوا حكاماً. لقد حصص أولئك الأبرار ونشلوا لعاية أبعد ما نكون عن الحكم ومشاكبه.

ثم إنهم لا يقبلون ولو أنزل بهم كل عذاب أن يتحسوا عن ذرة من ذلك التعوق الروحي الذي أحرزوه.

إنهم يمارسون مسئوليتهم عن أنفسهم في مستوى عال من الورع..
وبالتالي، فحسب يحممون مسئولية تجاه غيرهم من الناس فلا بد أن
يحفظوا بذلك المستوى لأنفسهم على الأقل، ذا لم يستطيعوا أن
يرفعوا، ليه الذين سيلون أمرهم.

وهذا موضع شكهم الكبير - لا سيما في العهود التي عايشوها..
أدم الأمويين والعباسيين، حيث فتحت الباب على الناس كن مباهاجها
وفتنها وخطاياها.

ولقد رأينا كيف كان بعض أصحاب رسول الله يهربون من مصاب
الولاية في عهد "عمر بن الخطاب" إمام الأئمة في ورعه وعدله وتقواه..
أفيلام أولئك الذين يهربون منها بعد أن تحولت الخلافة الراشدة إلى
ملك عضوض؟!

* * *

ثم إن "أهل الله" في موقفهم هداة، لم يعدوا استجابة التي تزيدهم
تصميما على موقفهم، فقد قبل بعضهم الولاية راحيا أن يقل إليها بعض
فصائل القوم وورعهم. فم كئت تنقضي شهور، وربما أيام حتى يمر
بديته!!.

هذا "هرم بن حيان" يقبل العمن كامير لإحدى الولايات.. فكان
أول ما ملأ نفسه عثينا وجزعا، ذلك الملق الذي أحاطه به صغار
النفوس - وما أكثرهم!! - ولكنه تصرف سرعه. فذات يوم علم أن بعض
الوفود قدمة لزيارته. فهض وأوقد نارا عظيمة أمم دهره، وأخذ كلما
خبت زادها وفودا!!

وجاء الوفد.. ووقفوا من وراء الناس يحيونه.. وهو يتسم لهم

ساخرا ويقول: مرحبا.. اقربوا..

قلوا: ما نستطيع من الد.. إنها تحول يسا ويبس

وهنا ناداهم بصوت جهير

"إنكم تريدون أن تقذفوا بي في نار أشد

من هذه وأعظم.. نار جهنم"!!

وأدركوا ما يريد، ورجعوا بسلام..

ومصت أباها، وهو يظن أنه سيصيح قادرا على تحقيق بعض ما

يريد .

ثم جاء يوم غصب فيه على رجل لأمر بسد عى العصب، فم، سه

وصريه.. ثم لم يلبث أن أخذه بدم قابل.. وصاح فممن حوله.

"لا جزاكم الله خيرا، إذ لم تنصحنى

ولم تردوني عن غضبي، والله لا ألى لكم

عملا".

ثم ترك الولاية من فوره..

نهم إدم مهم بدولوا لا يستطيعو أن يحيوا إلا في مباح آخر،

خلق لهم وخلقوا له.

ومع هذا، فهل يحسب حاسب أن في موقفهم ذك أدنى قدر من

السلبية؟

ميهت أن يصح ذلك، ثم ميهت..

وأوثك الذين استعوا على ماصب ينهت علسها لنس

ويته لكون لم يكن نمرع الحماء واسلاطين حطر، مشما نفزعهم

أصواتهم الحهبرة نجرهم عن، لصم ونحمر كل ما معهم من قوه بطشه

وجه عريض..

لقد كانت مواضعهم اللافتة تدق قلوبهم بعنف، وتقرع أسماعهم في دواهم. لا مجاملة ولا مصبغة!

ومن خلال مواضعهم تلك، نفق على حط من فسيهم وأفكارهم حول وظيفة الحكم وواجبات الحاكم.

هذه "أبو مسلم الحولاني" رضى الله عنه، يدحس على معاوية "وهو من هو بأب ومنكا وقوة. بطائه حاقون حوله، فبحسه "أبو مسلم" فلا:

"لسلام عليك أيها الأجير"

وشر، كسر الحاشية في فرع مما سمعت. ويقولون لأبي مسلم هاشمين: قر: أيها الأمير، فيعيد "أبو مسلم" الكرة.

"لسلام عليك، أيها الأجير"

فيقول "معاوية" لصاحبه. دعوه، فإن أبا مسلم يعرف ما يقول ويواصل "أبو مسلم" حديثه لمعاوية:

"إنما مثلك مثل أجير أو تمن على ماشية

لحسن رعيها، ويوفر ألبانها، وينمي

الصغيرة، ويسمن العجاء

فإن هو فعل، استحق أجره وريادة، وإن

هو لم يفعل نزل به عقاب مستخفه ولم

ينل أجراً..

يا معاوية، إنك إن عدلت مع أهل

الأرض جميعاً، ثم جرت على رجل

واحد، مال جورك بعد ذلك..

يا معاوية، لا تحسبن، لخلافة جمع
لمل وإغداقه إنما الخلافة، العمل
بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس
في ذات الله..

يا معاوية، إن الناس لا يباون بكدر
، لأنهار ما صعا النبع وطب..
وإن مكان الحليفة من الناس، مكان
النبع الذي يرجون صفاءه

* * *

بمثل هذه الروح، كانوا يتعاملون مع أولى الحكم والسلطان
يعظونهم ويحاوون لموعظه إسي الزجر عندما تدعو لرحر دواعيه
وهم بهذا إنما يشركون - حقه - في حمل كل تبع الحكم
الذي رفضوا ماصبه. فالحكم قد يكون محصورا في وظائفه الذي
رفضوا ماصبه من ناحية اشكل. أما من حيث، لموضوع وللمستولي،
فكن مشورة صدقة تقدم إليه . وكن نصيحة جادة تسدى إليه . وكل
معارضة أمية تتوحي تقويمه . كل أولئك إنما شكن مشاركة حقبية
وفعالة في حمل مسئولية الثقب

يقول "أبو مسلم الحولاني" :

"لا يصلح الناس إلا بإمام، ولا يصلح
الإمام إلا بالناس"

فهم إدرك لا نغيث عنهم ضرورة أن يكون ليس إمام ورئيس دولة

يحمل مع الآخرين نعب السطة المموحة له من الأمة بحقوق لها
أسباب لحياة العادلة الصالحة للكرامة. وكذلك لا تعيب عنهم ضروره
أن يكون أسس شركاء في الحكم، وأن يكونوا من الحضارة ولا عصب
بالحق والعدل وانحرإلى لحد لدى بعكس فيه ذلك كنه على
إمامهم.. (فكم تكونوا يؤل عبيكم).

وكما قال أبو مسلم (ولا يصح الإمام إلا بالأس).

ف لحكم عندهم إدر يحسو يجاحين - الحكومه، والشعب -
ومستوية الحكم مفروضة على الحاكم والمحكوم معا..

وإذ كن "أهل الله" يهرون من ماضيه ومعانمه ومب دله، فقد
اسبقوا لأنفسهم المشاركة في لمسئولة عن طريق معد رصتهم الشجاعة
لكن احراف، وتنديدهم الصارخ بكن حوج.

ولقد كان إخلاصهم بوثيق بفتح بهم قلوب الحنفء والأمرء
طوعاً أو كرهًا.. وحسب أولئك الدبر كبت فويهم موصدة، كنوا
يححبون ويصباء لون حسن برون سب سطاء في أسمل بالله يتحدون
سلطتهم، ولا يعأون بالسف ولا بالذهب وحسب كبت كبرياءهم
بدهم لاصطهادهم لم يكونوا بأملون فقد أن بشهم لاصطهاد عن
موقفهم، إنما كنو بوسلون باصطهادهم لنحوف العامة وبرويع الناس
حتى لا يسلكوا ضدهم ذات السبيل.

* * *

ولم تكن مجاملة بعض الحنفء والحكم بالكثيرين من "أهل الله"
وأوليائه لتحميهم على المهادنة والملاينة.

لقد كان هناك بعض حلمااء سى أمية - مثلاً - مشعوفين بأن يسمعوا

مواظب أولئك الأبرار حتى وإن أخرجتهم وأدلتهم.
أولا يستحوذ، ولو بعض لملاطفة في توحيه الصبح والحديث
إليهم؟..

إن لكلمة الحق عند أهل الله "أسلوب واحد لا يتغير، وإن كنت
لحاكم منواضع متطلع إلى إصلاح نفسه وحكمه، فالوها رفقته وادعاه.
وإن كنت لمتعطر صلف، أو جبار مستكبر لقحوه بها كالسوط
المفنول!

هذا أحدهم يقول لمالك بن دينار: ادع الله لي، فيجيبه.
"كم من عظموم بالباب يدعوك عيك".
وآخر، يسأله الدعاء أيضا فيجيبه.

"كيف أدعوك لكم، وألف يدعون عليكم
أيستجاب لواحد، ولا يستجاب لألف؟؟"
ودك خيفة آخر ملأ الدنيا بأسه ونفوذه، ترعوه دبة، وكلما
هشبه سقطب على وجهه، فيوجهه إلى "جعفر الصادق" رضى الله عنه
بسؤاله، وكان حاضرا مجلسه ذاك:

"يا أبا عبد الله، لماذا خلق الله الذباب؟؟"
فيجيبه جعفر:

"ليذب به الحبايرة!!"

ويكتب "زر من حيس" إلى عبد الملك بن مروان يعظه ويصححه،
ثم يقول في آخر رسالته إليه:

"ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول

احياة ما ترى من صحتك، فأنت أعظم
بنفسك .

وادكر قول القائل:
إذا الرجل ولدت أولادها
وبليت من كبر أجسادها
وجعت أسقامها تعودها
فدى زروع قد دنا حصادها!!

به حتى في امراض لا يحمد بكلمه مشجعه . بل يسهر فرصه
لبدكره بالموت، فنقول له أنت أعظم بنفسك، رغم ما يدور من نوهم
لصحه. ثم لا يبشره، بل بدكره بالمصير المحموم "فدى زروع قد دنا
حصادها" !

* * *

حما، لقد كان من رحمه الله بالناس، ومن باب توفيقه أن رفض
أولئك الأبرار دينا لسطان والملك، ووقفوا على مابر من نور، نحو
يرسلون كلمتهم هذه، ويتخذون موقفهم نك.
لقد كانوا مرافق العافية للإيمان والمؤمنين وكانوا بصورة
المشرقة والمشرقة للدين.

وكنوا بسدهم الدين، ويشجاعتهم في الحق، وبولائهم المطسوق لله
وكماله، إنما يحددون باستمرار، بفصل كل لروح شياها، ويقفون على
لشخصية الإنسانية على اختلاف دينها كل التمسك والصلابة ولأمن
وقس هذا كله، كنوا إعلان صادق ويرهب ويقف على أن القوة
الحقة القوة العالية المنتصرة هي "قوة لروح"، لا قوة العضلات، ولا

فوة المنصب، أو المال، أو الحاح

لقد رأى الناس بركة هؤلاء الأبرار ومفصل سلوكهم كيف يخصع
وتحشع كل مظهر الموت، لكرباء لكلمة عزلاء كانت مشاهدتهم
وملامحهم مع الحلفاء ولولاة تسرى في الديار والأقطار مسرى الرياح
والبشرىات فيعب الناس من أنفسهم ما يفجر في أرواحهم أشواقها إلى
لتسامي والإيمان، وكن "أهل الله" على إدراك لهذه الحقيقة، حقيقته
كل كلمة عادلة وصدق وشجاعة يصرعون بها أسماع حاكم جائر،
بما يمشي وحده، كتيبه من كائنات الهداية، ولخصه والمعروف
ولقد لم نحدث الناس بذلك الحوار الذي كان بحري يس "نبي"
حازم ابن ديدر وبين الحيفة لأمرى "عند الملك بن مروان" فيعتزون
به، ويعززون، ويرون فيه إعلان سيادة كل مؤمن في كل صقع ومكان، بل
إن "الحيفة عند الملك" نفسه، كان يسهر بروح "أبي حازم" وكلمانه،
فلا يترك فرصة يظفر فيها بمجلس معه إلا اهتمها محاطر بكل ما
تعرض له هيئته من اهتزاز تحب وقع، لكلمات القواطع التي يرسبها
"أبو حازم" في وجه الحيفة، ماضيات كالسيوف المرفقة!!
ذهب "عند الملك" يوما لزيارته المدينة ودعى "أبو حازم" ببقائه،
وما كاد يراه حتى دار بينهما هذا الحوار؟.

الحيفة : يا أبو حازم، ما هذا الجفاء؟.

أبو حازم : أي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟

الحيفة : وجوه، لناس راروني وهم تزرني .

أبو حازم : ما عرفني قبل هذا، ولا أنا رأيتك .

الحيفة : يا أبا حازم، ما لنا نكره لموت ؟

أبو حازم لأنكم عمرتم الدنيا، وخرستم لأخره فمكرهون
الخروج من العمران إلى الحرب.

الحليفة : صدقت.. ترى ماذا لنا عند الله غدا؟

أبو حازم . اعرض نفسك على كتاب الله تعرف مكرك عدا..

الخليفة : وأين أجده في كتاب الله؟

أبو حازم : عند قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ
لَفِي جَحِيمٍ .. ﴿٤﴾

الخليفة : فأين رحمة الله ، ذن؟

أبو حازم : قريب من المحسنين..

الحليفة : وكيف لنا أن نصلح أنفسنا؟

أبو حازم : تتركوا الصنف، ونمسكون بالمروءة، ونقسمون
بالسوية، وتعجلون بين الناس، ونخدون المال بحقه،
ونضعوه في حقه.

الحليفة : يا أبا حازم، ألا تصحوا، فسقع بك وستمع بنا؟

أبو حازم : لا .

الحليفة : ولماذا ؟

أبو حازم : إني أخاف أن أركن إليكم شيئا قليلا، فسذيفني الله
ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا أجد لي منه
نصيرا.

الحليفة : إذن فارفع إلي حاجتك أقصها لك..

أبو حازم : تدخلني الجنة، وتحرم علي النار

الخليفة : لس ذلك لعير الله ..

أبو حازم : وليس لى حاجة سواها !!

الخليفة : يا أبا حازم ، رأيت هينا ؟

أبو حازم : ألا تعينى من هذا السؤال ؟

الخليفة : إنها نصيحة تنقيها إلينا .

أبو حازم " إن آباءك اغتصبوا هذا الأمر من آبائهم .

خذوه عنوة ، ليسف من غير مشورة ولا اختيار - يعنى
بتلك الخلافة واحكم - وقد فتوا من أحبه حبما
كثيرين ، وبعد حين رحلوا ، فلو تدرى مصيرهم عند
الله ؟ "

وهنا صق أصحابه أو بعضهم ، أو نظهروا ب لصق ، ففرب
أحدهم لأبى حازم : " يسر من نخطب به الخيفة "
فصحه أبو حازم " بصوت عصب .

" كذبت .. إن الله أخذ على العلماء ميثاقه

لئلا يناس أمره ولا يكتُمونه !! "

و مسك الخيفة رمام لحدث مسرعاً من أن يفت ابرمام وينحدر
عصب " أبى حازم " فتكون كدنة! وعد يسأله الصبح
الخليفة : يا أبا حازم ، أوصى ...

أبو حازم : نعم ما وصيك وأوجر ..

" نزه الله تعالى وعظمه ، بحيث لا يراك حيث

نهالك .. ولا يفتقدك حيث أمره "

وهم أبو حارم "بالأصريف، فقد منح الحصة من وقته التمس ما لم يكن سظفر منه لولا رغبته" "بى حازم فى أن يوقفه منك الكلمات وده هو نهض ذاهبا، تدول لحصة صرة مستخفه بدباير وقال لأبى حارم على استحياء: ألا تقبل من هذه؟.. وبظرها "أبو حارم" يا شمرزاز وقال:

"والله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسى"؟.

بريد بذلك أنها ليست حلالا في رضاها للحليفة ينفقها على ديباه. فكيف إذن لأبى حارم، والدنيا كلها لا يريد في نفسه عن حصة ترب؟

ولأهل الله في هذا المقام مواقف كان أبطالها على نفس من أنها ستنهى بقضيم و ستشهادهم فما جرعوا وما لاقوا .. ولا نلقوا باحش عن خلاص أو نجاه. ذلك لأنهم لم يروا الخلاص قط في استنفاء الحياة، بل في استبقاء إيمانهم وفقد ثلهم و سعلاتهم فوق الحياة!!

من هذا الطراز، ونلکم المواقف، "سعد بن جبير" وموقفه من احتجاج .

لقد صمم الحجاج على قتله، بيد أنه أراد أن يتم مصرع وسى الله سعد فى مشهد درامى يشبع جوع حجاج وسعده إلى النفسى و الانتقام. كما أراد أن يسترد بعض هيئته يكتمات ظل أن رهقه الموت سدفعها على لسان سعد فى اسكابة أو تنطف لكن سعيداً أمام الهول و لموت فجأ، حجاج بما جعله أهول من دبابه!!

ولتتالع هذه الفقرة من حوار طويل دار بينهما:

الحجاج : ما اسمك؟..

سعيد : سعيد بن جبير..

الحجاج : بل شفي بن كسبر..

سعيد : أمي أعلم باسمي منك .

الحجاج : شقيت وشقيت أمك !!

سعيد : الغيب يعلمه غيرك ..

الحجاج : لأبدلك بالدنيا مارا تلظي.

سعيد . لو علمت أن ذلك بيدك لآخذتك , لها !..

الحجاج : الويل لك يا سعيد ..

سعيد . بل الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخلك النار.

الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التي تريد أن تقتل بها .

سعيد : بل اختر أنت يا حجاج , فوالله لا نفلني قتلة إلا فسك

الله مثلها في الآخرة!!

وسعشم الحجاج في خياله، وفي لمهفة التي أنزلها به رجل أعزل

تفصله عن القتل والموت دقائق معدودات، وصاح في حرسه ليذهبوا به

ويقتلوه..

وهذا ضحك " ولي الله سعيد بن جبير " ضحكه عريضه عاليه، زادت

الطاغية جنونا ومهفة، فصرخ في وجهه: ما يصحكك؟.

وفي هدوء المحيط وقوته أجابه " سعيد " :

"جراعتك على الله، وحلم الله عنك"

وافترت الحلال بسيفه ليطوح برأس سعيد فما اختسج ولا اهتز له

جمن، من راح يتلو الآية الكريمة.

﴿إِنِّي وَخَّهْتُ وَخَّهْتُ لِلدِّي فُطْرَ اسْمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ خَفِيفًا رَمَّا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وصاح الحجاج في جلاده لبدير "سعيد" عن راحة الفسة، إمداد

في السيف من مهاتته..

ولم بكثر "ولي الله" أعضاء وتلا الآية الكريمة

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْتُمَا تُولُوا فَسَمِ

وَحَهُ اللَّهُ﴾

وفقد الحجاج آخر مسكة في عنقه فصاح: كوه عني وجهه..

وفي حين "أهل الله الأبرار" تلا "سعيد" الآية الكريمة.

﴿مَهَا خَلَقْنَاكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾

ثم سجد بصره ودعا ربه قائلا:

"اللهم لا تسطه على أحد بعدى"

عند من - غير أهل الله - نحد كل هذا السمو ما رجا؟.

إبه في لحظة الهول هذه لا يشغله مصيره.. من مصاير الآخرين

الذين يتلمط بهم جنون الحجاج ويطشه.

إبه في لحظة الهول هذه، لا أمية له ولا رجاء ولا دعاء سوى أن

يكون آخر ضحايا الطاعة، وأن يحمل وحده السير، لدى بتظر

الآخرين..

وبعد استحباب الله دعى، ولم يمشي للحجاج بعدد سوى خمسة عشر يوماً، قصده في عهه قابله لم يمككه من قبل أحد بعد سعيداً! ترى، أية قوة مقننة كانت تملأ أرواح أولئك الأسرى؟ إنها قوة الإيمان بالله، والقهم عن الله..

أما الإيمان فمركهم يوفون أن ما أصابهم لم يكن لخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم. ودائم وأنداء ليس يصيبهم إلا ما كتب الله لهم..

وأما الفهم عن الله، فقد جعلهم يدركون حقيقة هؤلاء الخلفاء والأمراء

إنهم ليسوا سوى من كيفية تأس وإذا كان أحدهم يستطيع سلطانه أن يقتل فإن أي معونه من أس الدس يملأون الطرق يستطيع هو الآخر أن يفعل حتى دون أن يقع من المفتول ذنب، أو حيلة.

إنهم - أئمة - لم يروا في أولئك الحكام العظام جسور السلطة، ولا تحايل الملك. بل رأوا ضعف الإنسان، ومدله لحقيقة!!

أجل.. إن حسن فهمهم عن الله سبحانه، أعطاهم حقيقة هؤلاء الدس بحفوف وراء سيطرتهم وعودهم وسيوفهم وسحبهم أضعف الأنفس وأكثرها فرغ وهواناً!! لقد قل أحد الأبرار:

"ذنوب بني أمية، أسرع إليهم من سيوف المسمين!!"

ولكم كن صادقا، فظنم لحاكم الحائز، هو السيف الذي بهأ
لمصع رفته.. وكلم أوعن في ظنمه، كان ذلك شحد لسيف وأرهاق
لحدة!!.

من أجل ذلك، يرى "أهل الله" وهم يلفحون اعجب رين بصحهم
وتدريدهم إنما يفهمون منهم موقف الرثاء لهم لا الشمنة فيهم، لأنهم
يعلمون أنهم ضحايا حمفهم وجهلهم وظلمهم وكبرائهم الكدبة
لحددع، فلو كان معهم وعى ويصر، لعلموا أنهم أنفل اساس أحمل لا
يم وضع فوق كواهلهم من بعب. وليسو "كثير البس شرقا ولا
امتيرا..

ولقد كان "أهل الله" حريصين على تذكيرهم دائما بهذه الحقيقه
فهذا - مثلا - "مالك بن دينار" يقول له، لمهلب بن أى صغرة:

- ألا تعرفنى ؟ .

فيجيبه مالك .

- بلى، أعرفك حق، لمعرفة

فيسأله المهلب:

- وماذا تعرف عني؟ .

ويجيبه "مالك" .

".. أما أولك، فتطفة مذرة.. وأما آخرك،

فجيفة قذرة .. وأنت بين أولك وآخرك،

تحمل العذرة"

إن "مالكاً" رضى الله عنه لا شمنة ولا بهكم عنه ولا بسحر به،

إنما هو يدكره بحقيقته، اسي هي حقيقته كل فرد من سي آدم.
 فكل واحد منا.. يبدأ وجوده من نقطة مدرة لرجة.
 وكن واحد من.. ينتهي في نصر إلى جنة..
 وطوال، لعمر لدى نقصه بين ميلاد، ورحيل يحمل أمعاء ملأى
 على الدوام بالفضلات الكريهة.
 فهو أن كل جبر في لأرض يدكر حقيقته تلك لأعده على تواضع
 كريم..

أما وهم لحقيقته ناسون، فإن "أهل الله" يذكروهم بها في صدى
 ليقين!!

وقد نصدي "طاووس" رضى الله عنه يوم لو حد من أولئك
 الحكام لأشداً.. وأحد، به عنه حقة، وقرب منه وهمس في أذنه،
 يخبره أن هذا الذي أمامه حاكم خراسان.
 فقد "طاووس" لاسه. إني لأعرفه.. وإنما ألقه هذه الكلمات ليعلم
 أن لله عباداً لا يعاون بها في أيديهم من دس وسلطان. وأن سلطانهم
 بعير تقوى لا يزيدهم في أعيننا إلا هواناً!!

في هذه الصورة لسبعة، والمحدرب لمقلة من فسفسهم بحاه
 احكم وأفكارهم عنه - ترى قومًا يبلعون اندروه في داء ما ننموا عنه
 من رعاية أنفسهم ومذتهم وحقوق الدس عبد ذوى الدس ولسطان.

وقد كانوا يرون في موقفهم دالك من السلطة جهداً كبه الله
 عليهم.

ولقد كان الظن بهؤلاء ، تدين لادوا شعاب ، بحال فرراً بأنفسهم من الفتن، أن يحصروا جهادهم في جهاد النفس - وما شعابهم في حبانهم مش نفوسهم التي لم يكونوا يرصون لها دور لكمال مقاماً هذا الجهاد، الذي أسماه الرسول عليه السلام - بالجهاد الأكبر. لكن "أهل الله" وقد نحمو لهم "التكامل انديسى" على أفضل سوي، لم يكن ليفوتهم لله واحب.

ولأنهم بمدج كامله بحق، بالإسلام كنه - روحية وشريعة - فقد رأواهم فوق أرض القدر في المعارك اسى كبت بدور بين الإسلام وحصومه أكثر المقاتلين غبطة بالموت واستسلا فيه !! ورأوا أفكرهم وكلمتهم عن هذه القضية أفكار وكلمات أترار بلعوا لدروه في حسن لهم عن الله، والهمهم لديه. هذا "يحيى بن أبي كثير" يقو:

"ست خصال من كن فيه، فقد استكمل الإيمان:

- قتال أعداء الله بالسيف..
- والصيام في الصيف..
- ورساغ لوضوء في اليوم الشاتى.
- والتبكير إلى الصلاة في اليوم المطير
- وترك الجدال والمراء، والحق معك
- و نصبر على المصيبة"

فهو يحيى بأمور تتصل بالعبادة أساسا، لكنها تتحد مع كونها

عبادة وسيلة لتربية النفس وتهوقها عسى صعبها ..

• فهو لا يتحدث عن مجرد لصوم. بل عن الصوم في الصنف وهو من مكاره النفس لما فيه من إرهاق لها.. ولا يتحدث عن مجرد الوضوء أو الصلاة.. بل عن إسباغ الوضوء أى، تقائه في النوم الزمهرير.. وعن التكبر للصلاة في اليوم، لمطير - وهم أيضا من مكاره، بنفس دائما أو عاليا.

وهكذا يرى في وضعه "قال الأعداء بالسبب" عسى رأس هذه الخصال السبب ثبات لجزء من فلسفتهم عنه. فهو ليس فقط ذلك العرص الدينى العظيم، وليس فقط ذلك لمرئى احافنة الله ولرسوله ولديه بل هو أبصا مظهر تتصدر لنفس على مكاره الطغاب، لأمر الذى يسعى "أهل الله" أو من يسعون لتحقيقه وإحرازه.

وإنهم ليدكرون بل من دائم، بأن لجهاد فى سبيل الله وسيلهم للحياة من عدا به..

يقول "يزيد بن مرثد" :

" عيثان لا يمسهما المذاب "

• عین بکت من خشية الله..

• وعین سهرت من وراء المسلمين "

يعنى عيون المقاتلين التى تسهر لتحمل

التخوم وتوفر الطمأنينة، وتحقق النصر..

كذلك يذكرونهم بأن الجهاد سيبلهم إلى الحق..

يقول "يحيى بن أبى كثير" :

"موطنان تزخرف فيهما الحنة، وتزين
الحور العين..."

• عند الصلاة ..

• وعند القتال "

* * *

ويصح أولئك الأبرار على تمجيد القتال في سبيل الله إلحاحا يشير
الدهش حقا، فالعهد بهم رجاء صوامع وسك.. لكن من ذا لدى بهم
دس الله مثل فهمهم؟ ومن الذي يدرك مشهم متى يملأون صوامعهم
بالدموع الممثالة من حشية الله.. ومتى يملأون أرض المعارك بدمائهم
المهراقة في سبيل الله.
انظروا ..

هذا قدس منهم وبطل "عمرو بن عتبة" رضى الله عنه وعنه
أجمعين . يخرج للجهاد ضد الروم وعنه حلة حديدة بيضاء.. يتملاها
ويأملها طويلا، ثم يقول.

"ما أحسن الدم يتحدر على هذه!"

ودنى سألت الله ثلاثا، فأعطاني اثنين وأنا
أنتظر الثالثة

• سألته أن يزهدني في الدنيا، فما أنالى ما
أقل منها وما أكبر.

• وسألته أن يفويني على الصلاة - يعنى على
الإكثار منها - فرزقنيها.

• وسألت الشاهدة في سببه فأنا أنتظرها وأرجوها.

ثم افحم المعركة كالإعصار، حتى إذا أصابه أول جراحه نظر إليه فقال:

"إبك جرح صغير، وقد يبارك

الله في الجرح الصغير!!"

يعنى أنه قد يكون سببا كافي للاستشهاد..

وبل في ذلك اليوم من نسي، ونسي الله في عرس المنفى!!

وكان قد اشترى قبل خروجه للفتاب فرسا شمس مرتفع أربعة آلاف درهم، فلاموه عنى ذلك، فكان جوابه:

"إن خطوة واحدة يخطوها في سبيل الله

ويقربنى بها من أعدائه، لأحب إلى من أربعة آلاف درهم"

بأن الله كم هم معجزون وباهرون أولئك الأبرار.. إنهم لا يقانون

وحسب من ويمارسون القتل في شوق لمحبة العاشق الودود!!

ومن موقفهم هذا من الجهد ليكشف عن كامل شخصيته المسلم

والمؤمن والصوفي والوحي فهم عنى سمط فريد.

فتمس الهام والانجذاب و لوجد الذى يعشهم ويملا قلوبهم

بالفرح والشوق حنفا بكون الله ويعدونه نفس هذا الهام وهذا

الوجد هو الذى يعصفون به سيوفهم، ثم مصارعهم فوق أرض الفل في

سبيل الله!!

فعمرو بن عتبة - كم شهدنا - لا يكفه مجرد فرس يصلح لبقايل
فوق ظهره.. بل لابد أن يتص في شرائه وبمهره 'على المهور والأثمان..
ثم ما هو ذا يتمي ثوبه، لاصع الذي أرندها للمعركة خاصة.
وبرى كم هو جمس. وكى، المشهد لن يكون فاق حقا في نصره، لا إذا
صمخ دمه انقانى هذا الثوب الجديد.
ثم يخرج، فيداعب جرحه قليلا.

"إنك جرح صغير.. وقد يبارك الله في
لجرح الصغير!!
عاشق يعنى لموعده المرقوب، ومتيم بلفء الله، يعرد لمصيره!!
وكلهم ذلك الرجل.. بل ذلكم "الرجال"..
فهذا "شعيق بن سلمة" يقول:

"لأن يكون لى ولد يقاتل فى سبيل الله،
أحب إلى من مائة ألف!!..
به يتمي لو يكون له ولد يقاتل فى سبيل الله فماده صنع لدين
كن لهم منهم بنون وأولاد؟.
ما هو ذا واحد منهم "صبة بن أشيم العدوى". يخرج فى عروه
ومعه ولده، وعند المعركة يتمي وجهه المصىء وشبابه لبه.. ثم
ضمه إلى صدره ويدفعه صوب الصفوف المتحمة وهو يقول
"أى بنى.. تقدم فقاتل حتى أحسبك!!
ويتدفع الهنى فيقاتل حتى يستشهد.. وبوه فى شوبه لعرمه يكاد
من الهجة يذوب..

ثم ماذا؟.. صبرا، فالإعجاز لم يبلغ بعد ثمنه، ولنسوف يعلمه
عندما تذهب النسوة بعد المعركة، لى روجه "صه بن شيم" وأم القتي
الشهد، واسمها "معدة العدوية".

ذهب إليهم معزبات، فأدبهن بهن في وجوههن.

"إن كنتن جئتن لشهنتننى، فمرحباً يكن،
وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجمن!!"

ويحدثنا "مالك بن دينار" عن أخ له فى الله، هو "عبد الله بن
عالب" وقد رآه بنفسه فى إحدى معارك القتل.. يقول "مالك".

"سمعتة يقول وقد تلاحمت الصفوف: رنى
لأرى أمراً مالى عبه صبراً.. رحو بى لى
الجنة..

ثم كسر جفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى
قتل..

فكان يوجد من قبره ريح المسك، حتى إن
الناس كانوا يحتشون من مراب قبره
ويعصرون ثيابهم لتفوح طيباً!!

* * *

- أفهؤلاء من يقال عنهم إنهم يعيشون فى عرله؟!!

- أفهؤلاء من يقال عنهم، إنهم تمصوا أيديهم من مشكلات الناس
والحياء وعكفوا على أنفسهم وحده، لا يعيهم سواها.

- أفهؤلاء، وقد رأينا نضالهم، لى رعى عرفت العرش للحلفاء
والملوك ترة.. وفوق أرض الفال مع أعداء الدين وبلاد تارة أخرى..

أفهل هؤلاء كانوا - كما بهار - يحيون في عزله ويعشون في لسحاب؟
 لسطر الآن ماذا كتب عرسهم؟ ماذا كتبت حقيقتهما .
 وكيف كان فكرهم عنها وموقفهم منها؟..

يقول "مطرف بن عبد الله" :

"أنا أفقر إلى ، لجماعه من عجوز أرملة،
 لأنني في الجماعة أعرف قبسني ووجهي!!"
 هذه حكمة بلغة سنه في رفيت بموقف "أهل الله" من العزلة
 والحق أنهم لم يعرفوا العزلة، وإن كانوا - في مديرت - قد عرفوا
 الاعتزال

والعزلة، موقف خارج بحسن صاحبه على الاسلا ح من الجماعة،
 وقطع جميع المخطوط التي تصل المرء به .
 أم الاعتزال نوع من المراجعة، بر حج لمرء بها نفسه، والبس
 الدين يصحبهم ويعيش بينهم.

فمراجعة نفسه، يعزل م بفتر من خطئه، أو فتور عى الطاعة..
 ومراجعة اسس، يعزل منهم لفسد، وكن من لا يكون عوناً على اعبدة
 والخير.

و "أهل الله" كانوا من أنصار لاعز، بمعناه هذا لكنهم لم
 يكونوا من دعاة العزلة لمهزمة الواضعه بينها وبين الحياة سدودا
 ش هفة.

صحيح أن المرء في أولى خطواتهم عسى ، لطريق، يحب حون

إلى حبة صومعة يربون فيها أنفسهم ويكوبون رادتهم الجديدة. يبد
أنهم حتى في هذه المرحلة لا يفتصلون عن أحبة وبأسهم . فالمسجد
ومحارس العلم ومحارس الذكر يجمعهم بأصلح حس ثم إن لاحتك
الحوى أحد وسائل انبرسه الوثقى لأن فصائل نفس لا تتكون في
الحواء... بل في معمعة الحياة ووضائفها حتى تشند عود هذه
الفضائل، وحتى تصقبها الشدائد والصعاب.

وإد ما احتاز المريد والمنعبد هذه المرحلة الأولى، واتسعت
شخصيته الصالحة، بدأت بعبادة حباب حو، به المؤمن شدة إلى
علاقات إنسانية راشدة، لا تسمح له بالعرلة أبد .
وما يبدو لنا "عزلة" ليس في الحقيقه إلا كدأً وجداً في السس
اننى احتاروهم لأنفسهم، أو نعم الله بها عليهم .

نحن نعلمهم في "عرلة" لأننا لا نرهم معب .. وهم ليسوا معب ولا
يبس ، لأنهم هناك في مستوياتهم العالمة مع قوم من طرازهم بمصون على
دات الطريق.. ومع ذلك فهم يربون ما يقدر ما يحسهم بعد من
ومحتلطون بما يقدر ما نعلمهم معرلين.

* * *

إنهم يحيون مع الناس وليسوا، وينحدون من صالحيهم شعاع
إلى الله..

يقول "مالك بن دينار" :

"الهم إن كان أخلق وجهي كثرة ذنوبي،
فهني لمن أحببت من خيقت"

ثم إنهم لا يعيشون الحياة والناس فحسب.. بل يعيشونها على

أعني مستويات المعيشة والصداقة..

ولهم سيرة تفعلون بمستوى العلاقات الإنسانية إلى ذروة لا يقدر عليها سواهم..

يقول "السرى السقطى":

"لا تم المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أبا!"

ويتساءل "محمد البقر"

"هل يدخل أحدكم يده فى جيب أخيه،
فيأخذ ما يريد؟.."

قالوا: لا..

"قل: إذن لستم إخوانا كما تزعمون!!"

ولطالما عنوا بالعلاقات الإنسانية، ورسموا لها فصائلها وحصوها
الناس على التواصى بها..
يقول "مالك بن دينار":

"ليس لملول صديق"

من ذا الذى يكشف علاقة الملل بالصداقة فى هذه الصورة الدهرة
سوى أسد فى فن الصداقة والعلاقات الإنسانية؟

والمنبول إسار عجول، فبق، مفر ومقبص.. ومن ثم لا يكون له
أصدقاء.. ولأن "أهل الله" حريصون على إحداء روح لصداقة الفاصلة
بين الناس، راحوا يحذرونهم من لؤذائل لتي تقاومهم.

والعلاقات بين الناس عرضة لملاحاة، ومن ثم لا بد من معة
الصدر والناسم..

"إِنْ ظَلَمْتَ تَدْعُو عَلَى مَنْ ظَنَمْتُ، فَإِنَّ اللَّهَ

يَقُولُ: هُنَاكَ آخَرُ يَدْعُو عَلَيْكَ..

فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ، وَاسْتَجَبْنَا فِيكَ،

وَإِنْ شِئْتَ وَسَعَكُمَا عَفْوِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.."

هـ أروعها من صورة، وما أبلغها من حكمة يسر دلب فحسب من

إِنْ "أَهْلَ اللَّهِ" لِيَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِسَاءَةَ حَتَّى فِي صُورِهِ الْعَنِيفَةِ جَدْبَةٌ بَأْسٌ

تَسَى فَالَّذِينَ يَسِيئُونَ لِلْبَشَرِ، قَدْ سَاءَ مِنْ قِلِّ مَسْلَكِهِمْ مَعَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ

وَتَعَالَى.. فَمَا نَحْنُ فِي الْمِيرَانِ تَجَاهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

يَقُولُ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكْرِيَّا":

"مَا تَقْضُوا مِنْ عَهْدِ اللَّهِ أَكْبَرَ مِمَّا تَقْضُوا

مِنْ عَهْدِكُمْ.."

وَحِكْمُهُ أُخْرَى يَسْتَنْطِهَا مِنَ الْأَعْمَاقِ أَوْلَئِكَ لِأَبْرَرٍ.. هِيَ أَنْ الَّتِي

بِقِصَصِ حَيَاتِهِ يَمْحَى كَمَنْ مِنَ السَّهْبِ، إِنْ سَأَلَ فَقَدْ الْكَثِيرُ مِنْ أَصْدَابِ

عِزَّتِهِ.. تَصَوُّرُوا هَذَا..

يَقُولُ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكْرِيَّا":

"ذَبْ مِنْ لَا سَيْفُهُ لَهُ"

أَيُّ نَجْدٍ مِثْلُ هَذِهِ لِحِكْمَةٍ فِي عَمَقِهَا وَإِشْرَاقِهَا وَدَمْعِهَا مَعْرِفَتِهَا

بِالْحَيَاةِ وَيَأْسِرُ أَرْوَاحَ النَّاسِ وَالنَّاسِ؟..

ذَبْ مِنْ لَا سَيْفُهُ لَهُ؟.. كَيْفَ؟..

إِنِّه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِيَعْلَمُوا فَهْمًا جَمِيلًا آيَةَ الْفَرَّانِ الْكَرِيمِ:

"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين".

إن هذا العدو، وهذا السمة هو الذي يظهر للملأ شموح
فصل ذلك.. ثم من هذا الذي يخلص حياته من عدو يكيد له، أو سفيه
يسلط عليه إلا أن يكون داهي في ضآله الشأن وتفاهة القدر؟
ويهنهم "أهل الله" بما بين الناس من عهود، وبضروره التصحح حتى
يمشوا إخواناً آمين.

يقول "ذكر بن عبد الله المرني"

"لوقيل لي خذ بيد خير أهل المسجد،
لقلت دلوني على أنصحهم للناس..
"ولوقيل لي: خذ بيد شرهم، لقلت:
دلوني على أكثرهم غشاً للناس"
وكان "ميمون بن مهران" يقول لصاحبه "جعفر بن برقان":
"يا جعفر قل لي في وجهي ما أكره، فإن
الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له ما
يكره"

ويقول ميمون أيضاً:

"ثلاثة، حق لمؤمن والكافر فيهن سواء:
• الأمانة، تؤديها لمن ائتمنتك عليها من
مسلم وكافر.
• والوالدان، ترهما مسلمين أو
كافرين .

• "والعهد تقي به لمن عهدت مسلماً أو
كافراً" ..

ما أُنعد هؤلاء الذين يرسمون قصائن الاجتماع عن العرلة . هؤلاء
الذين لم يقدس حقوق الإخاء وأصبحه أحد مش ما فعلوا وقدسوا .
يقول "خالد بن معدان" .

"أخ لك كما لقيك ذكرك بحظك من الله،
خير لك من أخ كلف لقيك وضع في كفك
ديماً" ..

بهم يحدرون الصحة من أسمعها الدنيا . لى تجعلها صفه
رحيصة وتحولها إلى علاقات مريه .
وابهم ليوصون بالتوادد في كل مناسباته ..
يقول "عطاء بن ميسرة" :

"امش ميلاً، عد مريضاً ..
وامش ميسين، أصبح بين اثنين ..
وامش ثلاثة، زر أcha في الله" !!

ويرعرعون الإخاء بالمشاعر لطبة الودود اللى لا تكف الناس
شئاً ، ومع هذا لا يحسون عطاه ..
يقول عمرو بن الزبير :

لتكن كلمتك حبيبةً ، وليكن وجهك بسطاً ،
تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم
العطاء" !!

و أهل الله يعلموننا أن نحبي لصداقة بحسن لظن و لمبادره
إلى نسيان الإساءة بمجرد الاعتذار عنها
بقول "ميمون بن مهران".

"ما يغنى عن أحد مساةة، لا كان إسقاطها عنه
أحب إلى من تحققها عليه..
فإن قال معتذرا: لم أقل، كن قوله أحب إلى
من ثمانية شهود يشهدون عني!!"

ونقد كانوا، يصرون، لأمثل لدس، ليس في الصبح وحده بل وفي
التفوق البعد عني كن مشاعر الكراهية..
يقول إبراهيم التيمي:

"إن الرجل ليطلمني، فأرحمه!!
إنه يرثي لظلمه، لأنه إنسان قد شمي بظلمه وأحن نفسه من التعاسه وبفمه
لأقدار مكانا أصبح يسحق معه، لثراء و لرحمه..
ويقول "إبراهيم" أبصاً:

"رأيتني في المنام كأني على نهر، وقيل
لي: اشرب واسق من شئت، بما صبرت
وكت من الكاظمين"

* * *

ولقد كانوا يصعرون على طريق صداقه علامات، تعرف بها سديس
نزكو الإنسان بصحتهم، والدين لبسوا أهلا لدحول حبة الصداقة
فجعفر الصادق يقول:

"إن صاحب فصاحب الأخيار، فإن

لفجار صخرة لا تتمجر ماؤها، وشجرة لا
يعضر ورقها، وأرض لا ينبت غرسها".
ثم يفصل بعض صفات لأحبار والأشرار فيقول ثقلاً عن ولده
الإمام "محمد الباقر" رضى الله عنهما.

"قال لى أبى: لا تصحبن خمسة، ولا
تتخذهم لك، خواتم.
قنت: من هم؟..
قال:

- لفاسق، فإنه يبيعك بأكمة مما دونها..
- قنت: وهل دون الأكمة شىء؟..
- قل: نعم، يطمع فيها ثم لا ينالها..
- والبخيل، فإنه يخذلك بعالمه، وأنت
أحوج ما تكون إلى معونته..
- والكذاب، فإنه كالسراب - يبعد منك
القريب، ويدنى البعيد..
- والأحمق، فإنه يريد أن ينفعك، فيضرك.
- وقاصع الرحم، فإنه ملعون فى كتاب الله!"

فكن هذا أحديث منهم - رضى الله عنهم - عن الإخفاء، وحقوق
الجماعة، إنما يعطى صورة صحيحة لالتحامهم بالجماعة وبالسبب. من
إن كثيراً من وصاياهم الحكيمه فى هذا السبيل، كانت ثمرة تحريمهم
الحبه فى وقع الشر.. حتى لقد أوصوا الآخرين ألا يكتفوا فى معرفه

الناس والحكم عليهم بالمظاهر العابرة. بل بالسحرة الذكية.
يقول "يحيى بن أبي كثير".

"لا يعجبك حلم امرئ، حتى يغضب
ولا أمانته، حتى يطمع..

فربك لا تدري: على أي شقيته يقع"!!

والتحاميم بالحماة وحميمهم تنعاب سائهم وأصح في موقفهم من
الأسرة والعائلة.

فأهل الله يستحبون لروح الإسلام في ثراءه وأحبه ودعم أسوة
البشرى بالبرية، لصلحهم، ومن هنا لم تكن، لرهبانة ضمن مهجهم لدى
انهجوه للسيرة إلى الله.. وقبلما يحد منهم من لم يكن وجهاً وأب بل
طالما كانوا يحذرون أشياب الوافد على العدة والنسك من الإححام
عن الزواج..

هذا "طرووس بن كيسان" يقول.

"لا يتم نسك الشب حتى يتزوج"

وإيه ليلى يوم - إبراهيم بن مسرة - أحد لعناد الراهدين،
يقول له:

"لنتزوج، أو لأقولن لك ما قاله عمر بن
الخطاب لأبي الزو. قد قال له: ما
يمنعك من لزوج إلا عجز.. أو
عجز"!!

* * *

لكن "أهل الله" وقد كان لهم باليس وبألمان بصر عجيب، لم يكونوا ليركوا حب اليس وبذلهم لنصح والعود لهم، بأحدهم بعيد عن المباح الروحي المفعم بروح، لرضوان. أجل، لم يكونوا من السداجة، ولا من الاستعداد لبخس أنفسهم العالقة.

لقد كانوا يعايشون الناس حفا، ويوطئون لهم أكفهم، ويدأبون فيهم بالنصح، ويدرأون عنهم ما استطاعوا ظلم حكامهم وجبريهم لكنهم كانوا يتجنبون هدر الجماعة وقتها.. وكانوا يعرفون بما ما مع من يعيشون ويتعاملون..

لقد قالوا لمالك بن دينار يوما: ألا تسسفى لنا؟ فقال لهم: "أنتم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة"!!

ويقول "مطرف بن عبد الله":

"لأن يسألني غدا، لماذا لم أقتل فلاناً، أسلم لي من أن يسألني: لماذا قتلته؟"

هذا يبدو واعتز لهم واصح ف قوم الدين يدفع احدهم حبه قربانا لله وثمن لكلمة حق بصفع بها وجه سلطان جائر، يعرفون متى يتقدمون ومتى يسأخرون..

والقوم الذين يسو صعون ليس حتى لكأنهم أددهم جميعا منزله، يعرفون كيف يحتفظون لدواهم بصدارة الفتوة الصالحة.. فردا رأيتهم يتوقرون المحالطة حين يفرعون من واجبا بهم تحاه

الجماعة، فذلك حقهم المشروع، بل هو غالباً ما يكون واجب عليهم ولزاماً..

يقول "الشعبي":

"نعيش الناس بالدين زماً طويلاً، حتى ذهب الدين من نفوسهم..

ثم تعايشوا بالمروءة، حتى ذهبت المروءة..

ثم تعايشوا بالحياء، حتى ذهب الحياء وهم لأن يتعايشون بالرغبة والرغبة، وسيأتي بعد هذا ما هو شر منه!!

ويقول "أبو مسلم الخولاني":

"كان لناس ورقاً، لا شوك فيه.. فأصبحوا شوك لا ورق معه.."

فكيف يطلب من الأبرار أن يبدلوا أنفسهم ويعيشوا وسط ناس يتعاملون بالمنفعة وبالخوف.. دس هم شوك لا ورق له.. دس يقول عنهم "أوس بن عبد الله":

"إن أحدهم ليأتي عنده جميع يومه

لا يذكر الله إلا حلفاً!!!"

د "أمن الله" لا يفعلون عن ذكر الله لحظة، فكيف يأسون بمن لا

يذكر الله قط إلا حين يحلف باسمه.. وكثيراً ما يكون كاذباً في حلفه!!

إنهم يودون أن يعيشوا أعمارهم مع الناس، ويقضى الناس

أعمارهم معهم.. ولكن كيف؟

إن الناس في اسوق - تعج أسواقهم بالعش و لسرقه والخذعة،
وفي مجالسهم.. تعج محاسنهم بالصدق والثب والكذب بل إن بسوب الله
كثيرا ما يجعلون منها مسرحا لدنياهم الباطلة.
دخل "أبو مسلم الخولاني" المسجد يوما، فوجد فيه قوما
محتشمين، فرح بهم وأقبل عليهم ظانا أنهم يذكرون الله أو يندرسون
العلم.. فمدا بهم إدهم يسعون ويهذرون، فطر إليهم وقال:

"يا سباعان الله!!"

"إنما مثلى ومثلكم، كمثر رجل تعرض
لمطر غدير فالتفت فإذا باب مفتوح، فقال
أدخل هذا البيت أحتمى به من المطر..
فدخل فإذا البيت لا سقف له.
"لقد قصدتكم راجيا أن يكون مجلسكم
مجلس ذكر أو علم أنتفع به. فإذا هو
مجلس دنيا في بيت الله!!"

* * *

إن قلوب "أهل الله" معلقة دائما بحلاله. وحبر يكون أحدهم
معا شحصه، ويموا عظه، ومعوته يكون في داب الوقف مع لله بروحه
وبقلبه، وبنيته ورجائه.

وليست في دنيانا كلها م يعريهم ولا يشعلهم عن الله لحظة.

يقول "مسروق بن عبد الرحمن" :

"ما بقى شيء يرعب فيه إلا تعفير وجوها
في الرب"

يعنى دوام السجود لله رب العالمين

أف هذا هو اعتزالهم؟ حبذاه من اعتزال..

بحدث صاحب له "عمرو بن قيس لملائي" فيقول:

"كنت أطلبه في السوق.. فإن لم أجده في

السوق، وجدته في بيته، إما يصلي، وإما

يقرأ القرآن، وكأنه يبادر أموراً تفوته .

فإن لم أجده في بيته، وجدته في بعض

مساجد الكوفة، وقد أوى إلى زاوية من

المسجد، وجلس يكي..

فإن لم أجده في المسجد، وجدته في

المقبرة ينوح على نفسه..

ولما مات عمرو، وخرجنا بجنائزه إذا

البرية تمتلئ بطير أبيض لم نر مثل حسه

وحقيقته!!

وأخذ الناس العجب، فقال أبو حيان

التميمي: مم تعجبون؟ هؤلاء ملائكة

جاءوا يشهدون جنازة عمرو!!

فهذا القديس والعبد الصالح "عمرو بن قيس" يبحث عنه من يريد

في البيت مصل.. أو في المسجد عبدا.. أو في المقابر معسر.. ولكنه

أبض وقبل ذلك في السوق يدرس عمله وتحارته.

اعتزالهم إذن، كان يحردا لله.. لعدته والسعي في مرصاته بما
بنصمته السعي من عمل لمعشة. ومن عون يبدل لباس.
يقول "خليد بن عبد الله".

"لا تلق المؤمن إلا في ثلاثة مواطن:

• مسح ي عمره بعبادة الله..

• أو بيت يستره..

• أو حاجة من أمر الدنيا، ليس بها
باس".

أجر. إنهم ليدأبون في الحية كدأب الآحريين.. فمهم الناجر..
والصانع، والمعتم، والنزارع..
وهم ليسعون في عون الناس ويحشون إلى سحدهم كما قدروا
واستطاعوا..

وإنهم ليملاون الحياة بدوى حكمهم، ويعير قضائهم. كن
حياتهم ال طنة تجعلهم يدون بيت، وكأنهم عرباء
ذلك أنهم كما قل شميطن عجلان :

"أناهم من الله أمر أقنعهم، فناموا على
خوف وقاموا على وقار".

وكما يقول "الحسن البصري" :

"خليق بمن يعلم أن الموت موده،
والساعة موعده، والقيام بين يدي الله

مشهده أن يطول حزنه ..

إن أممهم عاياه سديهم وموعده بدعوهم وليس معهم من عمر
ما يكفى، ومن ثم فهم مهطعون وعداءون.

* * *

"يا بنى تميم.. وهبت لكم شبابي"
فهبوا لى شيتى ..

هذه صرحه أطلقها "إبراهيم بن هنادة النخعي" فى قومه وعشيرته،
ليتركوا له النقمة اياقية من عمره يدرك بها الركب لمسرع إلى الرضون
عظيم.

ولقد سئل أمام من أئمة الفوم، ذلکم هو "أوبس لفرنى" رضى الله

عنه.

"كيف الزمان معك؟"

"فقال: وكيف يكون الزمان مع رجل إن
أصبح ظن أنه لا يمسى . وإن أمسى ظن أنه
لا يصبح.. مُشرب لجنة، أو مُشرب بالنار..

- إن الموت وذكره لم يده لمؤمن فرحاً.
- وإن عم المؤمن بحقوق ربه لم يترك له
فى ماله قصة ولا ذهباً.

- وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقاً!!..

هذا فى إيجاز هو الشكل الحقيقى لاعتزالهم.. اعتزال للشروع
وللأشرار، حتى لا يبالوا ولا ينالوا من نقواهم شيئاً وهى نفس الوقت
رفض للشروع ومجابهة الأشرار فى نصل باهر قومه الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والجهر بكلمة الحق في وجه الخطر..
 به ارتفاع عن مستوى الناس بالجهد الحارق الذي يدلونه في
 العدة وزكوة النفس.. لكنه في نفس الوقت، سهام ببل في خدمة الناس
 وتصيرهم بالحق.

كل ذلك دون أن يشغلهم عن ذكر الله ومحسنه شيء..
 بقول "عامر بن بس" .

"والله، لأن تختلف لأسنة في جوانحي،
 أحسب إلى من أن أشغل عن ذكر الله
 ومحسنه بشيء.."

كل ذلك، دون أن يشركوا، أهل الدماء، ولو في الطيات لمشروعه
 والمهج المباحه فقد فطموا أنفسهم عنها وعشو وكأهم غرباء بس
 أهلها.

هو هو ذا "شميط بن عملاق" يردد شعرهم الذي سري في حبسهم
 مسرى الدم في العروق:

"صبراً على لأوتها، والموعود الله"!!



والموعود الله...

قلنا في أول سطور الكتاب إنهم من الله العلي الكبير تبدأ مسيرتهم الماركة وإلى الله العلي الكبير ينتهي مسراهم ومعراجهم وبو أردنا أن نخص حياتهم ومهجهم في عبارة واحدة لكائن: المحرد لله..

والتحرد عندهم، يعنى تكريس كل ما معهم من روح وجسد، وجهد ووقت لعبادة الله ومناجاته.. كما يعنى مع التكريس طرح النفس وفاء حظوظها يقول "أس النيم".

"صاحب التجريد، لا يستغنى إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله لا يفرح إلا برضا الله، ولا يحزن إلا على ما فاته من الله. ولا يخاف إلا من سقوطه في عين الله".

وهذا التجرد لله، والفاء هي جلاله، هو عندهم "جوهر بحره
لأنهما - التجرد والفاء - يعيان أن صاحبهما لم يعد رفيقا لشيء من
أشياء الحياة وعلاقتها، وأنه قد صار كم يقول (فرداً، مفرد) هو،
والله.. فأى سيادة هذه، وأى جلال؟!

إن هذا التجرد يعنى عند أهل الله "أراد الشخص له لاطفه
للمنحرد قد اتصلت بحطوط مبشرة مع الملائكة الأعلى، بعد أن حقق
أعلى درجات الانتصار في حياة السيرة والصبر،
يقول "بشر الحاشي" :

"من أراد أن ينوق طعم الحرية، ويستريح
من العبودية، فليطهر السيرة بينه وبين الله
تعالى"

عندئذ تتفتح له الأبواب على درب الحرية، ويمطع الصديق وثب هي
رعايه الله إلى المقامات الرفيعة في التجرد والفاء.

لا مكان لحطوط النفس عند الدين حيوان في موعد مع الله وهذا
هو الإيمان الحق وهو الحرية المحقة، وهو التصوف بوثيق،
يقول "الحيد" :

"التصوف، أن يملك الحق عنك،
ويحك به.."

ويقول سمور :

"التصوف، ألا تمسك شيئاً، ولا يملكك
شيء"

ويقول "أبو يعقوب المزائلي".

"التصوف حال تضحيل فيها معالم
الشخصية"

هذا هو النحر، لدى هو بدوره الالتزام الأسسى بسب نرس إلى
الله.. وهو ليس ترف روح.. بل فريضة محكمة، لأنه لتعبير الصحيح عن
توحيد الله..

ومن ثم فالنحر عند "أهل الله" لا يفف عند النحر عن حظوظ
النفس وأهوائها، ولا يعنى صرف الأبصار و لصائر عن ناس لحياء
وأشبها.. بل يتخطى ذلك كله إلى البعد المفقود حيث ينحدرون حتى
عن رؤية الطعاب والقربى والمعاناة حتى يحقق لهم النجر وسلكتهم
في موكب النوصلين!!.

قل "الشبلى" يوما لرجل:

"أندرى لم لا يصبح توحيدك؟...
لأنك تطيه بك...!!"

فأدى بظن أنه يطب الله بجهده هو، وليس بوقوف مطوق من الله، لا
يحسن - فى رأيهم - النحر، ولا التوحيد.

يقول "ذوالنون المصرى":

"عرفت ربي برى.. ولولا ربي ما عرفت
ربي.."

فإن الله هو كل شىء، وبه وحده تدرك العايات.

والنجر من رؤية النفس حتى وهى فى أيتها فصائها، بعد نجرها

عن رؤيته الأغير كفة، هو حقيقة اسوحد، ولله..

وآنه ذلك لنحرد مئة فيما يقول "أبو عبد الله القرشي" :
 "ألا يبقى لك منك شيء" .

وآيه كذلك، تعربة كقوى احياه من طاقها لمسعره،
 والرجوع بعاعليه الأسب إلى مصدرها الحق سبحانه وعالي..
 يقول "ميمون بن مهران" :

".. يقول أحدهم : اجلس في بيتك،
 وأغلق عليك بابك، وانظر هل يأتيك
 رزقك؟..

"نعم والله، ليأتينه رزقه ولو أعلق عليه بابه
 وأرخصي ستره، إذا كان معه مثل يقين
 "مريم" و "إبراهيم" عليهما السلام!!..

إن التجرد في أقصى حالات اكتماله، يصمن التوكل في أقصى
 صور كماله. بل ويتصمن كل قصص النفوس الروحي عند "أهل الله
 وخاصته".

وفي هذه القصة التي طلعها لميمون بن مهران يصرر حقيقه
 التوكل وصدقه مقترنة ببرهاها المشهود.

فهب أن يسأل الناس: كيف؟ يريهم المشهد ويطوفهم بالبرهن.
 فهذه "مريم" عليها السلام.

﴿كَلِمَ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا بُحْرَابًا وَجَدَ
 عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا؟﴾

قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ

لقد كانت وهي معكفة في مصلاها، تفتح عينيها فجأة فإذا أمامها
ويس يديها وكفه، لثاء في الصيف، وفاكهة نصيف في الشتاء!!
وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.
﴿ قل يا نار كوني برداً وسلاماً على
إبراهيم ۖ ۝﴾

لقد ألقى به في لأنوار المستعر، وراحت النار بأكر تمسح دون
أن يمسح منها سوء - أي سوءاً
هنا تتعري الأسباب تماماً من وجودها السيئ دون أن يكون ذلك
مساعد لاهمالها في تفكير "أهل الله" .. إنهم يقعون أمام هذه الظاهرة
هاهين بالمؤمنين ألا يعبدوا الأسباب وألا يقدرها فوق قدرها، وأن
يفتحوا بصائرهم على واهب القوى والطاقت والتأثير. ثم ليتبنوا إليه
نسباً

* * *

وحين تتوفر لعدد هذا القدر من الحرد والتس يزلف إلى مباح
الحب الذي لا حب منه، ولا حب بعده!!
وهو، الروصات ليعبد التي ينأق فيها "هل الله" وينألقون..
ومحبته الله هي المحنى العظيم لأحلى وأروع بام، لعمر عبد أولئك
الذين قل الله عنهم:
"يحبهم، ويحبونهم"!!

وفي روضات المحبة البانعات، تتحول عبادة إبي حبرها في
لحياة من بهجة ومتاع.

وفي ظلال هذا الحب يؤدي العابد فروص ولأله وعبادته في نشوة
الكلف المحبور.. لا المكلف المأمور!!

وهكذا رأينا حب لله بنجذب "أهل الله" إلى آف و شتى
فبعضهم يود لو يعمر في لذب ألف عام ليزداد من حلاوة العدة
والشوق، وبعضهم يود لموت من فوره ويشتره بكل ثمير وعمل، لكي
يعم بحلاوة اللذء..

بقول: "عمر بن قيس" وهو يبكي في مرض موته:
"ست أبكي على دياكم رغبة فيها.."
بما أبكى على ظمأ الهوى، جر، وقيام
الليالي الشاتية..

بينما يقول "عبد الله بن أبي زكريا":
"لو خيرت بين أن أعمر مائة عام أقضيها
في عبادة الله، أو أقبض في يومى هذا،
اخترت الموت الآن شوقا إلى الله وإلى
رسوله والصالحين من عياده.."

* * *

وعندما يبلعون هذ المقام، يسغ هيامهم بذكر الله وبالصلاة أشده
وأقضاء.

إن لهم في هذ، المصمار سوة حسنة بالرسول الكريم لدى يقول

"إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا .

قلوا: وما رياض لجنة يا رسول الله؟
 قل: مجالس الذكر ."

والذي كان يقول لمؤدبه بلال عندما يحين موعد الصلاة:

"أرحنا بها يا بلال" ||

ولم يقل "أرحنا منها...." والذي قال:

"جعت قرة عيني في الصلاة" ||

إن "أهل الله" لتهرهم هذا شديدا هذه الآية الكريمة التي تقول

﴿وللذكر الله أكبر﴾..

فهم لا يفسرون كلمة 'أكبر' ها بعظم الأجر وكبر المثوبة فحسب.

بل يفسرونها أساسا بما تومى، ليه من جلال الله وجبروت سيطانه ورفعة
 كبريائه وشأنه.

وكما قال بعضهم :

"لم يتفضل الله علينا بدعوتنا، لى ذكره

وإثابنا عليه بالجنة فحسب، بل كان

فضله قبل ذلك أن سمح لنا بأن نردد

ألسنتنا اسمه، وتستوعب قلوبنا ذكره..

ويقول "الكافى" رضى الله عنه:

"لولا أن ذكر الله فرض على، لما ذكره..

، جلالة له .

أو مثلى يذكره، قبل أن يغسل قدمه بألف
توبة مُتَقَلِّة "٩٩!!".

والذكر، ومجالس الذكر إنما بعيان عبد أهل لله "حالات
الحضور الحق مع الله سبحانه وبعبارة ذاكريين آلاءه، مقدسين أسماؤه،
وهو ليس ترد في عباده ولا نافسه - بل فرصة وأساساً، هو
ضروري لكي ينتقل العبد من الغافلين إلى الذاكرين.. ومن الذين
يعيشون رهن "حلم الله" إلى الدين يحيون في رحاب رحمته
يقول "الكتاني":

"الغافلون، يعيشون في حلم الله.
والذاكرون، يعيشون في رحمة الله
والعارفون، يعيشون في لطف الله.
والصادقون، يعيشون في قرب الله".

فذكر الله إذن يفسح المؤمن من عالم ما قبله إلى عالم ما بعده.. من
عالم حلم الله عليك، إلى عالم رحمته ولطفه، وحبه وقربه.. من عالم
الغفلة.. إلى عالم الذكر، فالمعرفة، فالصدق..
وعندما ندعى الله عباده قائلاً:

"فاذكروني، أذكركم"

وضع لذكر والد كريس في أعلى منازل الفريات و بمقربين..
ولقد أدرك "أهل الله" هذا ليس لما يمثله "الذكر" من شرف

المكانة وشرف الصحة وحسب. بل ولم يمثله من ضرورة وحمية
 فإذا كانت حياة العابد بن تعتمد على اقنوب المرهه لتقية، فإن
 خير ما يحبو القنوب ويرهفها هو "ذكر الله".
 بقول "عوف بن عبد الله" :

"ذكر الله صقال القلوب.."

وهو ضرورى للمريد السائر إلى الله وللولى الذى نزل فى
 صفة الله.

فبالسبة للمريد، يقول "أبو على الدقاق".
 "الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه
 وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق،
 ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر".
 وبالنسبة لبواصين يقول:

"الذكر منشور الولاية - أى المرسوم
 لذى يعلن تبوأ الولي منصب الولاية -
 فمن وفق للذكر منح المنشور.. ومن سلب
 للذكر، فقد عزل.."

وكم يصور لفيزيائيون أن يكتشفوا قوايس تفسر قيام الكون
 ونمى مكنه من جديده ونسبه.. فإن "أهل الله" يرون فى العلاقات القائمة
 بين العباد وربهم لأعلى، التى يحورها ذكر الله سبحانه يرون فى هذه
 العلاقات سر بقاء الحياة واستمرارها.

بقول "عون بن عبد الله" :

"لو يأتى على الناس ساعه لا يذكر الله
فيها، لهلك من فى الأرض جميعاً" ..

ولكن من حسن حظ البشر، أنه لا تمر من الزمن لحظة واحدة بر
ولا جزء من اللحظة إلا والله فيها د، كرون ومسبحون.. قيس الناس
وخدمهم هم الذين يذكرون الله ويسبحون بحمده. بر الشجر، والطير،
والجبال، والرمال..

وصدق الله أد يقول:

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم ﴾

وبلغة للنس، يرى "أهل الله" فى الداكرين حراس الحياة!
يقول "عون بن عبد الله" :

"ذاكر الله فى غفلة الناس، كالرجل
القوى الذى يظهر فى المنه المنهرمه،
فيمسحها التماسك و لثبات، ولولاه
لدامت هزيمتها.

كذلك من يذكر الله فى غفلة من الناس،
لولاه لهلك الناس" !!..

* * *

وإن "أهل الله" ليولون ذكر الله من أهمهم وأسرعهم وإجلالهم ما يمليه عليهم توفيرهم الله وإدراكهم لحلاله وتأديبهم في حضرته

فهذا واحد منهم - هو "حيد بن عبد الله" كان يأمر بالبيت فيظف، ثم يعق باب حجرته، ويحلس على مصلاه، ويقول:

"مرحباً بملائكة ربي.. أما والله

لأشهدنكم اليوم خير.. خذوا باسم الله...."

ثم يمضي في تسبيح الله وذكره، وروحه تتعمر حمام وشوق وغطاء
و لذكر عند "أهل الله" قيمه تعبر عن ذاتها بذاتها.. فيمه يتحدث
فيها الشك بالمصموم تحدثا لا يسمع بالنعو أنداء..

ومن ثم، لم يضعوا مواصفات "خاصة لذكر الله" فساعة، لذكر،
إم أن يكون العبد ذا كرا لله حف فعند يمسى عليه جلال الموقف
اشك المناسبات والصبغة الملائمة.. وإم أن يكون مجرد محترف أو
هاو أو متظاهر.. فهذا لا بدح في حسابهم، ولا تقع عليه نظرهم.

أجل.. سواء عند "أهل الله" أن يذكر العابدون ربهم سرا أو
جهرا.. فرادى، أو مجتمعين.

المهم أن يكون الذكر ذكر.. ولذا ذكر ذا كرا أي أن يكون هناك
حضور كمل قدر المسطاع، وأدب كمل يملأ الرمان والمكان
والمناسبة

إن أهر الله "يذكرون الحديث ، لقدسى ويذكرون به.. الحديث
الذى يحكى قول الله سبحانه:

"أنا جليس من ذكرنى!!"

هنا ، لميزان لذى لا ميزان مثله، ولا ميزان بعده..

حين تذكر الله فالله جيسك. يالرهه التى تديسب الصخر . وبها
للجلال الذى يدك ، بجبال دكا!!.

الله جيسك، فانظر إذن كيف تكون زمان، ومكان، وهبة،
وماسه . ففى مثل هذا الموقف لى يكون بحجة إلى من يظم بك
هتتك، وسمتك، وحركتك، وكلمتك. أنت وحدك أدرى!!؟

فما من قبل إن "أهر الله" حين يحققون لأنفسهم التجرد
والتوكل، ويذلون إلى رصاص المحبة ولفناء لذى يحققون به
التكمن.. تحب أرواحهم فى شعف مطلق بذكر الله، وبالصلاة..

ولمدر رأينا وفتنهم مع ذكر الله، فلسطر الآن وقتهم مع الصلاة
ولكن.. لماذا الذكر والصلاة خاصة؟.

إن لكل العبادات وكل القربات قدرها وحرمتها وشغف الأولياء
المتقنين بها، بيد أن الصلاة ولذا كرتوجن العبادات جميع
والقربات كافة.

ذلك أن الله سبحانه شرع لصوات فى ليوم واليلة خمس مرات
عدا ما يخلصها من نوافس ومس.

و "أهل الله" بما معهم من بصيرة ونور يدركون أن الله لغنى عن عباده لم يفرض الصلوات خمس عبر السوم وليلته إلا لسر عظيم وحكمة بالغة..

لقد جعلها خمساً.. ثم لم يكرها في زويفه من روايا النهار أو طرف من أطرافه.. بل ورعها نوريه مناساً مع لسوم كنه سهاره ولله أفلا يدل ذلك على شيء؟ بلى "وأهل الله" خير من يفتن لأسرار التشريع وحكمته..

وهكذا تواصلوا بالصلة حين أدركوا أن الله أرادها لتكون خط الاتصال الدائم والمستمر به وبين عباده، وليكون وليمته الماركة في لأرض ينادى إليها الدس كن بصع ساعد مره، ليزلوا في صافه الله ويتزودوا من رضوانه.

هم ذا لذى يهين الله له وسيله لانصالب المبرشر والدائم بحضرته وقدسه، ثم لا يستثمر هذه النعمة بأقصى وأقصى جهده وجهاده؟.

والواصلون إلى الله، والمثلون في حضرته، هم كشر العابدين حرص على هذا الاتصال - ليس فقط لما يرجون من مريد النعمة وفضل. بل ولأنهم يعلمون مدى حاجة العباد إلى عون الله حتى يكونوا من الأولياء والأبرار والواصلين.

فلما سمعوا عن نبهم الذى صطفه الله واجتبه أنه كان دائب للهج بهذا الدعاء:

"يا مُقَلِّب القلوب، ثبت قبي على دينك"

حتى ، ذا مثل عن سر إنحاحه بهذا الدعاء ، قل :

"إن القلوب يس ، صبعين من أصابع الرحمن ، يقلها كيف يشاء .."

من أجل هذا كان ولاؤهم الوثيق للصلاة . وكان كذلك لذكر الله .

فمعنى الاتصال والاستمرار واحدة في الاثنس واحد .

والذكر مطلوب في كل . وهو لا يمثل وحسب في كلمة "لا إله إلا الله" وإن نث هذه من أعنى شعائر الذكر وأسمائها .. لكنه بصمى كل خلقة قلب ، وكل ابهالة لسان متحقق من خلالها لحضور مع الله واستشعار عظمتة ، وروية آلائه ونعمائه وآياته ..

من أجل هذا ، كانت تلاوة القرآن عند أهل الله "تج الذكر والذاكرين .."

* * *

على أن ثمة معنى آخر بـ"الأهمية في شعف أهل الله وأوليائه"

بذكر الله وبالصلاة .

ففي هذا الشغف وهذا الولاء دحض حزم لبعض لدخلاء على الطريق ، الذين يزعمون أنهم بالوصول إلى الله سبحانه ونيوئهم مكانة الولاية قد أصبحوا أحرارا في لتحرر من بعض سكايف و لعبادات ..

لا . إن أهل الله "يبدركون أن طاعه الله في تعاسيم ديبه هي طريق لبدء ، وطريق السير ، وطريق الحمام . وأن كل ربح عنها أو تريط فيها إنما يعنى - والعياد بالله - لطرده من نعمته وحصرته

كذلك، فهم يدركون أن الدأب على أداء فرائض الدين وبوافقه، ليس صريقتهم إلى المزيد من فصل الله وحيه وحسب، بل هو أماتهم الوحيد من لخدلان.

فأمام بصيرتهم وبصائرهم سرى دائما كنهه الصديق الأكر
 "لا آمنُ لمكر الله، ولو كانت إحدى
 رجلى في الجنة"

فلتفريط مرفوض بعد أن سمعو قول الله لرسوله:
 ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا﴾
 والافراط مرفوض بعد أن سمعو قول الله لرسوله:

﴿مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾

والاتباع وحده - اتباع الرسول والقرآن والشرعة - هو طريقهم
 الأواحد إلى الله.

من أجل هذا، وعلى الرغم من أنهم أهل الكرامات والحوارق،
 فإنهم لا يحدون للحقوق أبه قيمة ما لم يكن صدره عن ولي تعالى، وما
 لم يكن صدوره تعبيرا خاصا في مناسبة خاصة عن دعوة للحق يراد
 تزكيتها بالكرامة، أو فضيلة يراد دعمها بها.

هذا هو "أبو يريد لبسطامي" رضى الله عنه يقول له

- إن فلانا يجيء من بئده إلى مكة في ساعات

فيجيب قائلا.

- وأي بأس؟ - إن الشيطان يطوف الأرض كلها في لحظات!

ويقال له:

- إن فلانا يطير في الهواء، ويمشي على الماء.

فحبيب قثلا:

- وأى فصل ٩. إن الطير يطير في الهواء.. وإن السمك يمشي

عاب الماء!!..

ثم يقول:

"لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامة

حتى يتربع في الهواء، فلا تغفروا به حتى

تنظروا كيف هو عند أمر الله ونهيه..

وحفظ حدوده.. وأداء شريعته"!!..

بـ "أهل الله وأولياؤه" أكثر المؤمنين و لعابدين الراما شريعة

الله، ومن ثم كن أربطهم لروحى الذى لا يهدأ أشواقه إلى ذكر الله

والى الصلاة، للمعنى الذى أسفنا شرحه وتبيان

وكما بهض لذكر لديهم معيارا لاستقامة الصمير والمسير.

فكذلكم الصلاة..

هذا "أبو العالية" يقول:

"نى لأرحل إلى العالم مسيرة أيام، فأول

ما أتفق من أمره صلاته، فإن وجدته

يقيمها ويتمها أقمت عبده وسمعت منه،

وإن وجدته يصيها رجعت ولم أسمع منه

وقلت لنفسى: هو بغير الصلاة أضيع"!!

أجل.. هو لعبير الصلاة أضيع.. والذى لا يجد الله ولا لعمائه حفا
عنده فى خمس قرائض يصيها، فينظف بوضوء لها جوارحه ويزكى
بها روحه.. ويرضى بها ربه.. الذى لا يفر الله بهد، الحق السهل الأداء،
والمناويع السير، لا يرجى منه بعد ذلك سر نفسه ولا سر بـ لا حزين..
وليسب الصلاة وحسب هى دليل "أهل الله" إلى الخير.. بل إن
ستقصاء آدابها هو أيضا دليل.

هذا "أبو يربد البسطامى" يتحدث عنه عن رجل مشهور بالعلم
و الزهد، فيسافر "أبو يزيد" إلى أبند ابدى يقيم به الرجل، وهناك يعلم
أنه بالمسجد، فيسارع للمائدة.. ولم يكذب ببغته حتى وجده بطريق
الصدقة يرمى بمصافه تحته القبة، فاصرف "أبو يربد" من فوره عابثا
إلى بلده وقال:

"هذا غير مأمون على أدب من آداب

رسول الله ﷺ، فكيف يؤثق بعلمه وزهده

وصلاحه؟"

إن "الصلاة" عند "هل الله" تمثل لقاء حقيقيا مع دى الحلال

و، لإكرام.

من أجل هذا كان يغشى أرواحهم ما يعشى، وهم قائمون بين يديه
سبحانه، يصلون به ويتلون آياته..

وإنهم ليفرقون بين المحافظة على الصلاة و لحفظ لها.

وليست المشككة عندهم أن نحافظ عليها أى تؤديها فى أوقات.. بل

ن نحفظها أى تؤديها بـ لحشوع الكام والمثول الحق!

يقول "أبو بكر بن العربي":

"إنى لأعرف من الذين يحافظون على
لصلاة آلاف أحصيتهم
أما الذين يحفظونها فلا أجد منهم
خمسه"

ولقد كانوا يبذلون الجهد الأكبر من ريادة النفس والروح في
سبيل اكتساب الموقف الصالح والخاشع لكل صلاة
يقول "ثبت الدينى".

"كابدت الصلاة عشرين سنة،
واستمتعت بها عشرين سنة"

يعنى بذلك أنه خلال أربعين سنة قضى فيها فى العبادة لمرصولة،
كان هناك عشرون عاما قضى فيها فى تدريب نفسه على كرم ما تتطلبه
الصلاة من خشوع وحضور ويقظة قلما يملكه بعد معاناته ومكابدته
طوال السنوات العشرين، صارت معه بالصلاة وفيها، نفوق كل مناع.

وبما نصح عجب لا ينهى حين تنتفع أساء أوباء لله الصالحين
وهم يصنون. فحفظوهم بالصلاة، وبوقيرهم، ياه، وبوقيرهم فيها أمر
يتعظم كل وصف وكل إطرأ..

هذا هو "رارة بن أوفى" يصلى بالناس صلاة الصجر، فيقرأ بعد
المانحة. سورة المدثر ويصلى فى جلال الصلاة ورهيبها، حتى إذا
وصل فى تلاوته إلى الآيات الكريمة:

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي لَقَوْرِ فِدْلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٍ
عَسِيراً عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾

تسحقه الرهبة الجليلة، فيسقط من فوره مبت وشهيداً !!
وهذا هو "منصور بن المعتمر" كانوا يقولون عنه.
"لو رأيت منصوراً، وهو يصلي، لقلت:
يموت لساعة!!"

وفد كنت به جار له نبصر في هريع البيل شيئاً يشبه الحشبة
المنصوبة فوق سطح دار "منصور" .. وذات ليلة أرسلت بصرها حيث
تعودت أن ترى ذلك الشيء الذي حسبته حشبة فلم نحهده مكانه فسألت
أناها:

- أيس الحشبة التي كنت أراها كل ليلة منصوبة فوق سطح
منصور؟

وأجبتها أيوه:

- "يا بنته ..

"ذاك "منصور" نفسه، يقوم اسيل مصلياً" ..

ذلك هي الصلاة حقاً. يفي فيها أهل الله "فناء الألفاظ
المشاهدين، ولا بصرفهم عن جلالها رغبة ولا رهبة.

و عمرو بن عتبة يقف في ظلام الليل وهدته بصي، ويسمع
أصحابه، لقائمون إلى جوره في مصاء المكثوف رئيس أسد يقرب،
فيولون هريين.. ويسنمر "عمرو" في صلاته لا يهتز ولا يحنح .

ويصرب منه الأسد، ويطوف حوله ويتشمم ويحمنق ..

و عمرو بن عتبة "كأنه غير موجود.. وبصرف عنه لأسد في
سلام، ويعود أصحابه فيسألونه بعد أن أتم صلاته:

- أما خفت الأسد؟.. فيجيبهم.

"إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً
سواه وأنا بين يديه"

وعن "عمرو بن عتبة" هد، رضى الله عنه، وعندهم أجمعين يقول
أبو نصر بشر بن الحارث:

"كان عمرو بن عتبة يصلى والغمام فوق
رأسه، والسباع حوله تحرك أدناها"

لقد كنت الصلاة قرّة أعينهم، لى الحد الذى كانوا يستقلون
أعمارهم مهم تطل لى يقدموا منها المرید إلى الله
هذا "ثابت الثانى" يضرع إلى الله داعياً.

"اللهم إن كنت قد أعطيت أحداً من
خلقك نعمة لصلاة فى القبر فأعطنيها"

إله يكاد ينمى الحبود ليملاء صلاة ثم صلاة ثم صلاة أما
والحبود فى هذه ابدى غير مسبور، فهو يسأله فى صراعه
إن كان بحق له أن يطمع فى قص ربه ورحمته وعمه، فيعطيه من
الحبة فس يرخا بمكة من أداء الصلاة فى قبره، ويظفره بعمه
وحلاوتها؟

* * *

لكم لله، يا هس الله.. لكم تتم فى الحياة نورها، وشرفها،
وضميرها، وعافتها، وهذا ما...





تعریف بالکاتب



خالد محمد خالد
(المنوفى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)

كان مولده يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الموافق ١٥ يوتة سنة ١٩٢٠ ميلاديه، فى لعدوة إحدى قرى محافظة الشرفه بمصر، وانتحو فى طفولته مكتب القرية، فأمضى به صبع سنوات، حفظ فى أثنائها قدرًا من القرآن، وبعدم القرعة والكتابة.. ولم عقد وائده - لشيخ محمد خالد - عزمه على أن يلحقه بالأزهر الشريف، حمته إلى بهرة، وعهد به إلى ابنة الأكبر "الشيخ حسين لىولى بحفظه القرآن كاملاً، وكان ذلك هو شرط الالتحاق بالأزهر فى ذلك الوقت.

أتم حفظ القرآن كله فى وقت قصير وهو خمسة أشهر كما بن ذلك ممصلاً فى مذكره "قصنى مع الحبة". ثم التحق بالأزهر فى سن مبكرة، وظل يدرس فيه على مشايحه الأعلام طيلة سنة عشر عام حتى تخرج منه، وبال الشهادة اعاليه من كلية الشريعة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، وكان نذاك روجاً وأب لائس من أبائه.

عمل بالتدريس بعد لتخرج من الأزهر عدة سنوات حتى تركه نهائياً سنة ١٩٥٤، حيث عيس فى وزارة لشفاقة كمستشار لنشر، ثم ترك لوقت نهائى بالخروج الاحتيارى على لمعاش عام ١٩٧٦. وبُذلت به عروض معربة كثيرة ليل وطفة قديمة فى الدولة، سواء

في رياضة جمل عند العصر أو أنور السادات، فكان يعنذر عنها، ورفض عروضاً أخرى كثيرة لأسفار يسر لها العباب، وآثر أن يبقى في حياته البسيطة لمتواضعه التي يعجب عنها لرهو والقنوع^(*)

وقد قلبت حياته في أطوار متعددة، من حفظ مبكر وسريع لقرآن الكريم، إلى طالب نابه بالأزهر الشريف، إلى شاب متعطش للمعرفة، تواق إلى أنواع الفنون والآداب والثقافات، إلى معلم في السبسة مشغول بها، إلى خطيب بارع تهز خطبه، لستسه أعواد النماير، ثم إلى واعظ تفرغ لدروسه وحطه القلوب بنشوة الإيمان، إلى عالم مشغول بالآخرة، وصوفي مشغول بربه، وهكذا.. وقد شرح ذلك بالتفصيل في مذكراته التي كتبها وجعل عنوانها "قصي مع الحبة".

وفي سن مبكرة لتفنى بشيخه لمربي الكمن لشيخ محمود خطاب السبكي إمام أهل السنة ومجدد رواق الإسلام - كما وصفه هو - وكان "عجوبه من أعجيب الرمن، وشاهدأ على ما يفيض الله على أوليائه وأحبابه من واسع فضله وعطائه^(**)".

وصفه بقوله: "إن وصفه لمن الأمور لصعقة، والحديث عنه بقدر ما هو شهي وبدي. يوقع لك كب في حيرة وهكذا يكون شأننا مع أئمة الله والمرسلين. ومع أوليائه المقربين.. فمن شق عيبرهم الذي يتضوع بها، وعطراً. وتتقلب في معاء ما آتاهم الله من نور وهدى وحكمة.. بيد أن الاقتراب منهم يفرض عيب من انبعاث مالا يطيق.. والحديث

(*) انظر "قصي مع التصوف" لخالد محمد خالد بشر دار المقطم للنشر والتوزيع بالقاهرة

(**) انظر قصي مع التصوف

عنه، ويحسر موافقهم، أمر بعسر نأويه، لا عني من يحسن الله عسره
يسراً" (*).

وكما كنت حذره في بو كيره كالنهر الذي نجيش مياهه بالميصر،
وتغلب في تدفق وعصفوان، فبه كما فرب من لبحر هداأب أمو حه،
واطمأت مسيرته، حتى إذا امتزح بماء البحر صار له هدوؤه وشموله
وانساعه.

وجاءت مؤلفاته الرائدة كذات ثأرة مدققة واسهت إلى
لرسوخ واليقين وفي كنه كد محصاً، لا يسعى بأي مه عرض من
أعراص الدنيا بل لقد جاءه لذب بعرض نفسه عليه من أوسع أبوابها،
فأوصد دونها بابه.

ومثال عني ذلك أن حمام عبد بن صر ورفاقه في محسن قيده لثوره
كانو قد قرأوا كنه هب لثوره، ونحسوا لها لدرجه أن عبد الباصر
كان يشتري منها - من جيبه الخاص - مئات لسخ ويورعها على رملائه
لصباط (**)، ومع ذلك فإنه لما قامت الثورة لم يرد أن يستفيد منها،
وكانت فرصته في ذلك عظيمة، ولكنه بدلاً من ذلك وقف ناقدًا للثورة
موحياً لها، مطالاً حكومتها بتعطسوا الديمقر طيه، فكأن صدور كدبه
"الديمقر طيه أبداً" بعد ستة أشهر فقط من قيام لثوره في ٢٣ نوسوسه
١٩٥٢.

(*) من مقدمه الكتاب "إلى صحبة الشيخ محمود خطاب إمام البه وعطاب الاقطاب" للاستاد بوموق آخ.

حسن، دار معطم بالقاهرة.

(**) انظر "قصص مع عباده" فصل حور مع عبد الباصر.

وظلت هذه مواقفه من الثورة ورجالها حتى توجت بموقفه المريد في
 "الحجة للحضريه" سنة ١٩٦١، وفيها بعد مواقف الثورة من قضايا
 الحرية، ودمقراطيه، وعارض ما رُد عند الناصر لتمام به من
 إجراءات تعسفية ضد من أسموهم - حينئذ - بقضايا الإطاع، وأعداء
 الشعب.. بعد أن نزعوا أموالهم غصباً وظلماً، واكلوا بسهم بعير حريرة
 اركبوها، قصارو بعد عر في دل، وبعد عى في فاقة وعور، وبعد أمن في
 خوف، ولا حدود من يدافع عنهم، أو ينتصر لهم.. فكان هو الصوت
 الوحيد الذى ارتفع في وجه الصمت والخوف، مدافعاً عن الحق، طالب
 لهم - بدلاً من العزل السياسى - "العدل" السياسى، ولما أخذ التصويت
 فى المجلس على من يعترض على إجراءات العرب السياسى، كانت يده
 هى الوحدة لنى ارتفعت فى سماء لفاعه لنى ضمنت - يومئذ -
 ثلاثمائة وستين عضواً^(١).

مد كذبه الأوب من هه سد حرح خالد محمد خالد على لسان
 ككاتب قد، وصاحب فكر، ومباح عن قصص الامة، وبذا تحدد موقعه
 كمصيح اجتماعى ورعيم فكرى بعفت به حماهر عقيمة من اساس،
 وأعجبت بكتبه وفكره، لس فى مصر وحدها، بل وخارجها أيضاً..
 وطبع "من هه نيد" ست طبعات فى سبب اثنتين، وترجم فى نفس
 السنة لنى صدر فيها إلى الانجليزية فى أمريكا، وكسب عنه عدة رسائل
 وأبحاث جمعيه ومقالات فى أنحاء متفرقة من أوروبا وأمريكا.
 ولكن فطرة المؤلف لبقية، ونسبه الصدقة جعلاه - فيما بعد - بغير

(١) انظر "قصص مع الحياة" فصل حوار مع عبد الناصر

إنه عديم رأى حفاوة أعداء الإسلام بالكاتب أدرك أنه أخطأ فيه.
وهنا ينحلي واحد من موقفه التي امتلات بها حياته، إذ ظل يفكر
فيما دعى إليه فيه من فصل الدين عن الدولة وبفسه في دمه حتى أعرس
عنى الملأ رجوعه عن هذا الرأى، فلم يحل - وهو الكاتب الكبير - من
أن يعبر أنه أخطأ.. وراح بصحح ديك لحطاً بكل قونه
فم يترك وسيلة من وسائل إذاعة هذا الصحيح، لا أتاها من
مفلات، أو تحقيقات صحفنه أو إذاعة أو تهزيبية. ثم لم يكتف بهذا
كنه، فكتب كتاباً كاملاً أعلن فيه تصحيحه لرأيه الأوب، وراح يدل على
أن الإسلام دين ودولة، بل إنه جعل شعار الكتاب هو "الإسلام دس
ودولة..

حق وفوة..

ثقفة وحضرة.

عبادة ومبسة..

وقد خلف - رحمه الله - ثروة علمية كسرة تربو على ثلاثين كتاب،
غير لمفالات والأحاديث الكثيرة التي لم تجمع بعد. وقد نفع الله
بأعماله ثمة نفعاً كبيراً، وبلغها القراء في شوق، لأنها - ككس أعماله
انسمت بالإخلاص، وندفقت بالعاطفة الصادقة الحياشة.
وأشهر مؤلفنه، وأكثرها انتشاراً هي الإسلاميات التي جاءت فريدة
في بابها من حيث الأسلوب، وطريقه لتبوس، وشهرها على لإطلاق
"رجال حول الرسول ﷺ" الذي تحدث فيه بافندار عن مسيرة سيسى من

أصحاب رسول الله ﷺ، و "خلفاء الرسول ﷺ" الذي ضم بين دفتيه
خمسة كتب عن الخلفاء الرشدين

١- "وجاء أبو بكر"

٢- "بين يدي عمر"

٣- "وداعاً عثمان"

٤- "في رحاب عبي"

٥- "معزة لإسلام عمر بن عبد العزيز"

وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات كثيرة في أنحاء عديدة من
العالم..

ومن كتبه أيضاً: أبناء الرسول في كربلاء و "والموعد لله" و
"نقاء مع رسول ﷺ" و "كيف تحدث الرسول ﷺ" و "كيف تحدث
المران" و "إنساب محمد ﷺ" و "عشرة أيام في حياة الرسول ﷺ"
وغربها..

أما كتبه السياسية و إنسانية و لاجتماعية و لمسية فهي عديدة
كتب منها ثلاثة كتب في موضوع الديمقراطية و حدها، وهي،
ديمقراطية أبدأ و "دفاع عن الديمقراطية" و "لو شهدت حوارهم
لقلت" راجع قائمة المؤلفات في آخر الكتاب.

وكتب - أيضاً - مذكراته في كتاب "قصي مع الحياة"، وقد نشرت
لأول مرة في جريدة "المسلمون" السعودية و "المصور" المصرية في ١٠
واحد، وبعد أن تمت طبعت في جزء واحد في مؤسسة أخبار اليوم، ثم
طبعت طبعه جديدة بدار المقطم بالقاهرة.

وكان آخر كتبه الإسلام ينادي لشر، وقد أراد له أن يخرج في

ثلاثة أجزاء؛

الأول: إلى هذا الرسول ﷺ

الثاني: "إلى هذا الكتاب" (القرآن)

والثالث: "إلى هذا الدين"

ولكنه لم يتمكن إلا من كتابة الجزء الأول، ثم وافه المنية.

أما عن عادته في الكتابة، فإنه لم يكن يجلس مكتئباً - فط - إلا إذا استشعر الحاجة الملحة لذلك، وتكون الفكرة التي يريد الكتابة عنها قد صبحت، وطلبت الظهور، حينئذ يجلس في أي مكان، وفي أي ظروف ويبدأ في الكتابة دون أن يلتفت لما حوله أو يشغل به.. وقد تمضي - أحياناً - من حياته سنوات دون أن يكتب فيها شيئاً لأنه لم يجد ما يهيج في نفسه الدافع للكتابة..

وقد انسمت كتابته بأسلوب رشيق بدیع، وقدرة فائقة على التعبير والعوص، إلى جوهر الأشياء، ووصفها بسرور وروعة، وقندار، وكان كثيراً ما يسأل عن السر في جمال أسلوبه فكان يقول:

"إن الأسلوب في الكتابة لا يصنعه شيء إلا رب العالمين"

وقد أورد الدكتور محمد كمال الدبسي في كتابه الذي كتبه عنه بمودجا من كتبه، وجعله تحت عنوان "عزف لعوى"^(*)، وهو العنوان الذي يصف رشاقة أسلوبه وجماله، ومودته، إلى القلوب.

وكان - رحمه الله - طيب النفس، مستشيراً في عامه أوقاته، نعلب

(*) ثورة التراث، دراسة في فكر خالد محمد خالد للدكتور شاكراً النابسي

عليه السكينة والتأمل..

وكان عتبة في الكرم، غدية في التواصل وبين الأخلاق، نارا بوالديسه وصولا للأرحام مراعيًا لحقوق الزمالة والحرمان، ساعيًا - إلى آخر أيامه - في قضاء حوائج الناس، لا يمل من كثرة فصد به، ولا يضجر من إلحاح بعضهم عليه حتى في أوقات مرضه، وكن بقول: "ثلث زكاة الحياه

واسميت حياته كلها بلزهد في المال والمنصب ومظهر الحياه، وقد استفاض في وصف ذلك من عرفوه وكنوا عنه^(١) ومن ذلك أيضا مواقفه التي أظهرت ما كان عليه من شجاعه ومن مكارم الأخلاق منها موقفه من الإخوان لمسلمين، الذين كانوا قد عارضهم قبل بثوره، ولكنه بعدها، وبعد أن نكلت الثورة بهم ومزقتهم كل ممزق، طيب منه من جملتهم وتقدم فأبى ولم يحصع لإغراء ولا تهديد فثلا، "لقد رقت من الإخوان وثقلت فكرهم وسلوكهم يوم كان بعض قادة الثورة من مجاديتهم!! ويوم كنوا من القوة بمكان.. أما اليوم وهم في المعتقلات واستجوب تحت وطأة التعذيب، فقد أوصانا سيد الرسل ﷺ ألا نحجز على جريح".

وقد نقل الشيخ يوسف القرضاوي تفاصيل هذا الموقف في مذكراته التي نشرها في جريدة "آفاق عربية" (العدد رقم ٥٧٣).^(٢)

كان - رحمه الله - محبا للخير، مسارعًا إليه، كأنه كان يصف كوامن

(١) راجع "قصي مع التصوف" ص ٣٧ وما بعدها طبعه دار انقشيم بالقاهرة

(٢) راجع "قصي مع التصوف" ص ٤٤ وما بعدها طبعه دار انقشيم بالقاهرة

الخير في نفسه عندما كتب هذه السطور من كتابه "لقاء مع الرسول ﷺ":
 "فإذا سألتني - أيها القارئ - ما الخير؟ أجيبك من فوري: إنه
 الخير.. إنه ذلك الذي يجعل الإنسان إنسانا حي القلب، ريان الضمير..
 وذلك الذي يجعل منك ملاذا للآخرين، يأوون إليك كما يأوي المحرور
 إلى ظل شجرة، أو كما يأوي الظمآن إلى عين ثرة تفيض بالماء البارد
 النмир.

هو انعكاس إنسانيتك على الآخرين، وإضفاء فضائل نفسك البارة
 الكريمة على الحياة وعلى الأحياء..
 وإن خير ما يصنعه المرء في حياته هو أن تسع حياته الناس رحمة
 وبرا، ومحبة وودا".

فكان محبا للناس، لجميع الناس، مستأنسا بهم، متوددا إليهم،
 متغافلا عن أخطائهم متسامحا مع من يسيئون إليه..
 كان - باختصار - متخلقا بأخلاق الإسلام، وإن لم يحرص على أن
 يكسو نفسه بمظهره.. بل كان له مظهر الرجل العادي - كسائر الناس. أما
 سلوكه وأخلاقه فكانا يدلان على عمق إيمان ورسوخ يقين..

وكان يعزو ذلك إلى التصوف فيقول في مذكراته:
 "ومرة أخرى أنحنى إجلالا للتصوف، فهو الذي مكب في روعي كل
 ما روى ظمأها إلى الخير والسكينة والرحمة والمعدلة، وكل ما بقى
 لي.. من قربات ومغانم ومناعم، ومن فضائل وقدرة وإصرار.. فإليه - أولا
 - يرجع الفضل بين كل الأسباب، وقبل كل الأسباب"

لقد كان - رحمه الله - ممن تشرب روح التصوف منذ يفاعته، ولم
 يكن تصوفه إلا في قلبه، فلم ينتم إلى أي من طرقه، بل تلقاه مبكرا على

يد شيخه المبكى رضى الله عنه (*)

وكان محبا لأهله أينما وجدوا مداوما على زيارة أضرحة أهل البيت، وأولياء الله الصالحين .

ومن أقواله الماثورة:

- "إنى لا أرفض إنسانا لأن فيه خطأ أو اثنين أو عشرة، وأرفض معه بقية فضائله، فقد توجد فيه فضيلة واحدة تزن صلاح مائة عابد ."
- "إن الحب هو جوهر الحياة.. إن الحب يولد فى النفوس طاقة لا تعدلها طاقة أخرى فى الكون ولا تقابلها"
- "الله سبحانه لا يعيق المهاجرين إليه، والمسافرين إلى رضوانه، بل يجعل لهم الأرض مهداء، والسماء سبلا ."
- "على رأس فضائل الحياة وشعار الدين تقف فضيلة الحب"
- "لا بد للحب كى يصفو ويدوم أن يكون خالصا، صافيا، تقييا، وبكلمة واحدة: أن يكون لله رب العالمين ."
- "كما ننام نموت.. وكما نستيقظ نبعث.. ومن كان فى شك من الموت والبعث، فليعيش إن استطاع بلا نوم وبلا استيقاظ ."
- "علاقة العبد بربه تتطلب مراجعة مستمرة للتبعات التى تفرضها والسلوك الذى نحمل به هذه التبعات ."
- "إننا من طول ما ألقنا بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية، أصبحنا لا نهتز من أعماقنا للسر الباهر الذى تحمله، والحكمة الثاقبة التى تمنحها ."

- "إن صحبتنا الصالحين الذين لم تجمعنا بهم خلطة مباشرة تكشف عن حقيقة أنفسنا ومآلها من حظوظ الخير والفضيلة".
- "لا تجد مؤمنا إلا حيا، ولا منافقا إلا عديم الحياء".
- "الإسلام لم يأت ليعلمنا أخلاق الصوامع.. بل ليعلمنا أخلاق المدينة".
- "الكذب مفسدة مطلقة، لأنه سريع النمو، سريع الانتشار، وله ضراوة كضراوة الخمر أو أشد".
- "الرياء آفة تمحق الأعمال وتردها ترابا في تراب".
- "التواضع نعمة من الله يهبها لكبار النفوس".
- "الإيمان بالقدر لا يقول لك: نعم وانتظر قدرك.. بل يقول: قم واكتشف قدرك".
- "وسئل عن القومية العربية فأجاب: إنى لا أعرف شيئا عن القومية العربية، ولكنى أعرف أشياء عن الوحدة الإسلامية".
- وقال شعرا في عيد مولد النبي ﷺ:

يا عيد مولده كم ذا تواتينا تشدو فتبهجننا، تشجو فتبكيينا
قل للرسول إذا ما جئت روضته أدرك شعوبك قد حار المداونا

وفاته:

كان - رحمه الله - قد مرض مرضا طويلا، واشتد عليه في سنواته الأخيرة، ومع ذلك كان دائم القول: "لا راحة للمؤمن دون لقاء الله" ولم تكن فكرة الموت تزعجه، بل كان كالمنتظر له على شوق، وقد استعد له،

وأوصى بما يريد..

وكان من وصيته أن يصلى عليه في الجامع الأزهر، مع هذه العلمى،
ومرتع صباه وشبابه، وأن يدفن بقريته "العدوة" بجوار الآباء والأجداد
والإخوان والأهل..

وجاءته الوفاة وهو فى المستشفى يوم الخميس، ليلة الجمعة ٩
شوال سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٦م - عن عمر يناهز
الستة والسبعين عاما.

اللهم إنى قد قلت فيه مبلغ علمى..
ولا يخلو كلامى من أثر حب الولد لوالده..
اللهم لا تكله إلى عمله..
واشمه برحمتك يا بر يا رحيم..
وصل اللهم على الحبيب الشفيح..
سيدنا محمد ..
وسلام على المرسلين..
والحمد لله رب العالمين..

محمد خالد ثابت